مدارسة
القرآن الكريم

﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

مدارسة سورة البقرة
دراسة إجمالية

مع الأستاذة

أُناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

– هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

– الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

"الجزء الثّاني"

اللّقاء السّادس: الخميس ٩ صفر ١٤٤٠ هـ

"دراسة القسم الأوّل من المقصد الثّاني (٤٩_٧٤)"

تابع مدارسة مقدّمة المقصد الثّاني

من الآية (٤٠) إلى (٤٨)

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنّا انتهينا من قصّة آدم، وبهذا نكون انتهينا من المقصد الأوّل؛ ثمّ ابتدأنا في المقصد الثّاني:

- **المقصد الأوّل:** كان دائرًا حول دعوة النّاس كافّة.
- **المقصد الثّاني:** كان دائرًا حول الدّعوة الخاصّة لبني إسرائيل.

أتت الدّعوة خاصّة لبني إسرائيل، وابتدأت بالآية الّتي قال عنها أهل العلم: أنّها الآية الفذّة؛ لأنّ فيها الاختصاص، فيها نداء لبني إسرائيل بصورة مميّزة، قيل لهم: (يا أبناء الرّجل الصّالح، اذكروا النِّعمة، وأوفوا بالعهد، ووحّدوني في الرّهبة) ثمّ تتابع بعد ذلك الكلام حول: ما هم مأمورون به، وما هم منهيّون عنه.

إلى أن وصلنا إلى خاتمة هذه المقدّمة، الآن هذا المقصد الثّاني له مقدّمة:

- ما هو المقصد الثّاني؟ دعوة النّاس خاصّة.
- ما هي مقدّمته؟ نداء بني إسرائيل: الّذي ابتدأ من الآية (٤٠) وانتهى بالآية (٤٨).

بقيت علينا الآيتان: (٤٧) و(٤٨) لكي نُنهي المقدّمة:

مراجعة مدارسة الآيات (٤٥_٤٦)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}[1].

على ماذا يستعينون {بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}؟ على قبول الحقّ.

(١) سورة البقرة: ٤٥_٤٨.

ما الّذي يُعيق قبول الحقّ؟ أنت في قلبك، في الأصل تريدين رضا الله؛ لكن هناك الشّهوات، هناك التّقليد، هناك الأصحاب؛ لأجل أن أَصِلَ إلى قبول الحقّ؛ ومن ثمّ الاستقامة عليه، أستعين {بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}.

ثمّ قال الله عزّ وجلّ: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} يعني مَنْ أَصْلًا سيهتمّ بقبول الحقّ؟ الّذي سيستعين عليه بالصّبر والصّلاة.

وبعد ذلك وُصِفُوا: {الَّذِينَ}: هذا اسم الموصول، وَ {يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ}: هذا صِلَة الموصول، يعني هنا الصّفة.

ما هو الدّافع للمجاهدة؟ الإيمان باليوم الآخر، الّذي يدفعنا للاستقامة أصلًا، وطلب الحقّ: هو إيماننا بأنّنا سنلقى ربّنا؛ لذلك النّاس ينقسمون إلى قسمين في قبول الحقّ:

القسم الأوّل: الدّنيويّون، لا يهمّهم إلّا الدّنيا، وهؤلاء لا يفكّرون إلّا من منطلق الشّهوة، ما عندهم إلّا الدّنيا: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}[1] يعني الّذي يشغلهم: الدّنيا، أهمّ شيء: ماذا يكونون في الدّنيا؟! وهؤلاء الدّنيويّون لا يخطر على بالهم البحث عن الحقّ، ولا يهتمّون به.

القسم الثّاني: الصّادقون دعونا نقول: (صادق مع نفسه)؛ لأنّ هناك نداء داخل النّفس يسأل رغمًا عنك: ما هو الحق؟ ما هو الصّواب؟ ما هو الخطأ؟ هذا يُسمّى: نداء فطريًّا، يعني صادق في الاستجابة للنّداء الفطري، هذا يبحث عن الحقّ.

لمن في الطّرفين قيل: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}؟ للصّادق، الّذي صدق في البحث عن الحقّ؛ قيل له: استعن بالصّبر والصّلاة.

ما هي علامة الصّادق الّذي يريد أن يَصل إلى الحقّ؟ أنّه يظنّ، يظنّ، هنا بمعنى "يتيقّن" {يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ} يعني يتيقّنون باليوم الآخر.

---

(١) سورة الجاثية: ٢٤.

مدارسة الآية (٤٧)

الآن سنستفتح: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ}.

من الآية (٤٠) إلى الآية (٤٨): في تسع آيات تكرّر النّداء مرّتين: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}؛ وهذا يُعتبر: مقدّمة للمقصد، يعني المقصد الثّاني له مقدّمة تخصّه:

- المقدّمة من الآية (٤٠) إلى الآية (٤٨).
- نودي {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} مرّتين:
  - **النّداء الأوّل**: قال عنه أهل العلم: الآية الفذّة.
  - **النّداء الثّاني**: سنرى النّداء الثّاني كيف يشبه الأوّل؟ وكيف يختلف عنه؟

المقارنة بين الآية (٤٠) و(٤٧):

ما هو وجه التّشابه؟ نفس النّداء؛ ما هو النّداء؟ في الآية (٤٠): {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ}، وهنا في الآية (٤٧): {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ}.

ثمّ في الآية (٤٠): {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}، وهنا في الآية (٤٧) نفس الجملة: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}، فإذًا إلى هنا كأنّ الآيتين متطابقتان.

في الآية (٤٠): {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، وفي الآية (٤٧): {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}، يعني أتى في الآية (٤٧) الكلام عن التّفضيل.

المقارنة مع الآية (٤٨):

ثمّ في الآية (٤٨) قيل لهم: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}.

إذًا هذه المرّة: إقامة حجّة مع التّحذير، يعني نُودوا: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ}، وذُكّروا بالنِّعَم، وأقيمت عليهم الحُجّة: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}.

وما هو التّحذير؟ {وَاتَّقُوا يَوْمًا}.

مدارسة القسم الأوّل من المقصد الثّاني

(٤٩_٧٤)

مدخل إلى مدارسة القسم الأوّل من المقصد الثّاني (٤٩_٧٤).

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (١) تعداد النّعم من الآية (٤٩) إلى الآية (٥٧).

الرّابط بين الآيتين (٥٨) و(٥٩) وآخر الآية (٥٧).

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (٢) تعداد قبائح التّصرّفات أمام النِّعم من الآية (٦٠) إلى الآية (٧٤).

فوائد من قصّة البقرة.

مدخل إلى مدارسة القسم الأوّل من المقصد الثّاني (٤٩_٧٤)

إقامة الحجّة، كأنّها فاتحة كلّ الكلام الّذي سيأتينا بعد ذلك: الكلام الّذي سيأتينا بعد هذه الآية إنّما هو من تفاصيل إقامة الحجّة: من تفاصيل: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}.

فلا تنسي أبدًا جملة: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}: سيأتي لها تفصيل وبيان؛ فإذًا هذه الجملة تُعتبر إقامة الحجّة على بني إسرائيل، على أنّه يجب عليهم:

١. أن يوفوا بعهد الله.

٢. وأن يرهبوه وحده.

٣. وأن يكونوا أوّل من آمن.

٤. وألّا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا.

٥. وأن يتّقوه.

٦. وألّا يلبسوا الحقّ بالباطل.

ننتقل الآن لتفاصيل: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}:

قبل أن ننتقل إلى تفاصيل الآيات، اكتبوا:

(قُسّم الحديث عن بني إسرائيل إلى أربعة مراحل: المرحلة الأولى: ذِكْرُ سالفة اليهود منذ بُعث فيهم موسى عليه السّلام) هذه هي تفاصيل {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} هذا من الآية (٤٩) إلى الآية (٧٤).

(سالفة): ماذا تعني السّالفة؟ الماضية، ما سَلَفَ، ما مضى، أحوالهم السّالفة.

الآن نقرأ وضعي خطّا تحت الفعل الّذي يُعَبّر عن الحالة السّالفة لبني إسرائيل؛ الّذين كانوا مع موسى عليه السّلام؛ لأنّ الّذين خُوطبوا بهذا الخطاب هم المعاصرون للنّبي -صلّى الله عليه وسلّم- فيُذَكّرون بحال سَلَفِهِمْ.

عند كلّ آية سنُحدّد ما هي الحال الّتي امتنّ بها الله عليهم، أو ما حالهم، وكيف حصل الامتنان؟

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}

(١) تعداد النّعم من الآية (٤٩) إلى الآية (٥٧)

مدارسة الآية (٤٩) ذكر النّعمة الأولى: الإنجاء:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}(١).

في كلّ مرّة تسمعين فيها: {وَإِذْ} معناها تقولين: واذكر، واذكر هذه الحال.

في هذه الآية ما هي تفاصيل الحال الّتي مطلوب منهم أن يتذكّروها؟ اذكروا نعمتي عليكم بالإنجاء: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ}؛ إذًا هذه هي تفاصيل التّفضيل:

- {وَإِذْ}: بمعنى: اذكروا النّعمة.
- {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ}: **أيّ نعمة؟** اذكروا نعمتي عليكم بالإنجاء. ثمّ بعد ذلك نشرح الإنجاء حصل ممّن؟
- {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ}: **نجّاهم** من آل فرعون.
- {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}: **ماذا كانوا يفعلون؟** يسومونهم سوء العذاب.
- {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}: **ما تفاصيل سوء العذاب؟** يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.
- بقي: {وَفِي ذَٰلِكُمْ} يعني **هذا اسم الإشارة يعود إلى:**

ممكن أن يكون: {وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} على الإنجاء؛ على أساس أنّنا نفهم البلاء بمعنى: النّعمة، أو العذاب نفسه بلاء عظيم، يعني يحتمل هذا ويحتمل هذا؛ **لكن** رأى الشّيخ السّعدي: الإنجاء.

مدارسة الآية (٥٠) ذكر النّعمة الثّانية: طريقة الإنجاء:

(١) سورة البقرة: ٤٩.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}(١).

أين النّعمة الآن؟ هل ستكون هي نفسها أم هناك زيادة؟

الإنجاء والنّعمة الزائدة: شفاء صدور بني إسرائيل، واذكروا الحال لمّا {فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}.

فإذًا: {فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ} هذه وحدها ليست مثل: {نَجَّيْنَاكُمْ} يعني مثلها من حيث النّتيجة؛ لكن ليست مثلها من حيث الحيثيّات والتّفاصيل، كيف يكون حال الإنسان المظلوم الّذي يرى نَصره، وعزّه بشيء من التّفصيل بآية خارقة؛ ما هي الآية الخارقة، المعجزة؟ أن يُفرق البحر لهم ويصبح يابسة لهم هم ثمّ بعد ذلك يخرجون، ويلتفتون؛ فيجدوا عدوّهم يغرق، فصارت نعمة.

إذًا الآية في إنجائكم، والآية في إغراق آل فرعون؛ وراؤها أمور كثيرة منها:

- ⇐ شفاء صدور بني إسرائيل.
- ⇐ قطع الخوف بالإغراق، يعني لا يوجد أحد يُخيفهم بعد ذلك؛ لأنّهم رأوه بأعينهم وهو يغرق؛ فهذه نعمة تفصيليّة.
- ⇐ فالإنجاء نفسه نعمة، وطريقة الإنجاء نعمة.

إذًا في الآية (٤٩): الإنجاء نعمة، وفي الآية (٥٠): طريقة الإنجاء نعمة.

مدارسة الآية (٥١) ذكر النّعمة الثّالثة: المواعدة بإنزال الكتاب:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}(٢).

أين النّعمة؟ {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ}.

أين النّعمة في مواعدة الله لموسى؟ في المواعدة لإنزال التّوراة: {وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}.

الآن ابدئي من عند: {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} في الآية (٥٢):

مدارسة الآية (٥٢) ذكر النّعمة الرّابعة: العفو بعد اتّخاذهم العجل:

(١) سورة البقرة: ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ٥١.

يقول الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(١).

أين النّعمة الآن؟ العفو بعد اتّخاذهم العجل؛ وهذه طبعًا جريمة عظيمة؛ لكن لاحظي هنا أتت في سياق الامتنان عليهم؛ فما جاء العتاب الشّديد لهم.

فإذًا إلى الآن كم نعمة؟

النّعمة الأولى: إنجاءهم.

النّعمة الثّانية: طريقة الإنجاء.

النّعمة الثّالثة: المواعدة بإنزال الكتاب.

النّعمة الرّابعة: العفو بعد اتّخاذهم العجل.

مدارسة الآية (٥٣) ذكر النّعمة الخامسة: إنزال الكتاب رغم الجُرم:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(٢).

أين النّعمة؟ إتيان الكتاب، يعني المُواعدة كانت نعمة لإتيان الكتاب، ما الّذي كان متوقّعًا منهم لمّا وعدوا أن ينزل عليهم كتاب يخصّهم؟ أن يبقوا عابدين! شاكرين، خاصّة وأنّهم الآن قد خرجوا من عبوديّة فرعون! لكنّهم ماذا فعلوا؟ {اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} هذه جريمة فهم فعلوا ما يمنع هذه النّعمة عليهم، فلمّا تابوا عفا الله –عزّ وجلّ– عنهم، وأنزل عليهم الكتاب: فصارت نعمتان.

النّعمة جاءت من وجهين: {عَفَوْنَا عَنْكُمْ} وَ {آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}: {عَفَوْنَا} وَ {آتَيْنَا} وإلّا فإنّ جُرمهم هذا يستحقّون بسببه أن يحرمهم الله –عزّ وجلّ– من النّعم، لكنّه عفا عنهم وأتاهم الكتاب.

وسنرى؛ فلازال هناك شيء متعلّق باتّخاذهم العجل.

---

(١) سورة البقرة: ٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٥٣.

مدارسة الآية (٥٤) ذكر النّعمتان السّادسة والسّابعة: تنبيههم على الطّريقة الّتي يتخلّصون بها من الذّنب ثمّ التّوبة عنهم:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(١).

أين النِّعم؟ عندنا نعمتان هنا:

- **النّعمة الأولى**: تنبيههم على ما يتخلّصون به من الذّنب العظيم؛ الّتي هي نفسها دلالتهم.
- **النّعمة الثّانية**: أنّ الله لمّا أمرهم بالقتل؛ رفع عنهم هذه الطّريقة، وَقَبِل توبتهم بأهون من ذلك.

هم الآن هل قتلوا أنفسهم أم ما قتلوا أنفسهم؟

دعونا نقرأ الآية لأجل أن نرى: هل هناك إجابة أم لا؟

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

{ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ} هذا أمر بأن تكون التّوبة عن طريق القتل؛ ثمّ بعد ذلك: {فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} ما معناها؟ يعني تاب عليكم من هذه الطّريقة.

إذًا كم منّة؟ منّتان:

المنّة الأولى: أنّه دلّهم على طريق التّوبة من هذا الذّنب العظيم.

المنّة الثّانية: ثُمّ لمّا أَقَرُّوا، وقَبِلوا هذه الطّريقة، ماذا كانت النّتيجة؟ الّذي يظهر من قول المفسّرين الصّحيح: أنّه تاب عليهم؛ فلم تكن هذه هي طريقة التّوبة.

مدارسة الآية (٥٥) والآية (٥٦) ذكر النّعمة الثّامنة: أنّ الله –عزّ وجلّ– بعثهم بعد الموت:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٥٥.

عدّوا الآن النِّعَمَ السّابقة، وأضيفوا عليها هذه النّعمة:

النّعم السّابقة:

النّعمة الأولى: الإنجاء.

النّعمة الثّانية: طريقة الإنجاء.

النّعمة الثّالثة: المواعدة.

النّعمة الرّابعة: العفو عن الجريمة.

النّعمة الخامسة: إنزال الكتاب رغم الجُرم.

النّعمة السّادسة: تنبيههم على الطّريقة الّتي يتخلّصون بها من الذّنب.

النّعمة السّابعة: التّوبة عنهم.

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} ما هي الجريمة الآن؟ انظري هذه المنن الآن لم تأتِ ابتداء؛ وإنّما بعد جُرمهم، انظري:

- الآية (٥٤) أنّهم أجرموا، والله عفا عنهم بهذه الطّريقة.
- مثلها الآية (٥٥) ماذا فعلوا؟ {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}: هذا الطّلب أنّهم لن يؤمنوا حتّى يصلوا إلى هذا المطلوب.

لازلنا في العذاب: {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}: إلى هنا لازال الكلام عن عذابهم.

يقول الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(١).

- أين المنّة؟ {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} فإذًا هذه أصبحت النّعمة الثّامنة: أنّ الله –عزّ وجلّ– بعثهم بعد الموت، لماذا ماتوا؟ ما هو سبب الموت؟ أنّهم طلبوا أن لا يؤمنوا حتّى يروا الله جهرة.

(١) سورة البقرة: ٥٦.

مدارسة الآية (٥٧) ذكر النّعمة التّاسعة: أعطاهم الله من نِعَم الدّنيا ما يُميّزهم عن غيرهم:

يقول الله عزّ وجلّ: ثمّ قال تعالى: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}(١).

النّعمة التّاسعة: أنّ الله –عزّ وجلّ– أعطاهم من نِعَم الدّنيا ما ميّزهم: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}.

كلُّها تُعتبر نعمة واحدة؛ الّتي هي العَطايا من الدّنيا، يعني أعطاهم من الدّنيا ما يميّزهم، ما الّذي يميّزهم؟

⇐ أنّهم في الصّحراء؛ ويُظلّل عليهم الغمام.

⇐ وأنّهم في الصّحراء وليس هناك طعام؛ فينزل عليهم المنّ والسّلوى.

فإذًا انتهينا الآن من الآية (٥٧)؛ وإلى هنا فإنّ هذه **٩** نِعَم أُنعِم بها عليهم.

الرّابط بين الآيتين (٥٨) و(٥٩) وآخر الآية (٥٧)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}(٢).

الآن تصوّري الرّابط بين هذه الآيات؛ فنحن سنتوقّف عن الكلام عن الإنعام، وسنرى الرّابط بين هاتين الآيتين (٥٨) و(٥٩) وآخر الآية (٥٧).

ما هي العلاقة الّتي ممكن أن تكون؟ في الموطن التّاسع بدأ الكلام عن: أنّ الله ميّزهم في الدّنيا؛ بأن أعطاهم الله عطايا في الدّنيا، الّتي هي: أنّه ظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسّلوى، وشرع لهم أن يأكلوا من طيّبات ما رزقهم.

فإذًا إلى هنا واضح أنّه يُنعم عليهم؛ ثمّ خُتمت الآية بجملة غريبة عن السّياق؛ لأنّ السّياق في المنّة؛ ثمّ بعد ذلك قيل: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} أين بيان هذه الجملة؟

---

(١) سورة البقرة: ٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٥٨_٥٩.

في الآيات التّالية، كأنّه يُقال: رغم هذه النِّعم لكن كان مسلكهم مسلك الظّالمين، ما هو شرح مسلك الظّالمين؟ شرح مسلك الظّالمين أنّه لمّا قيل لهم: {ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا} لاحظي بأنّهم سيأكلون {رَغَدًا}! {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} يعني أمرهم بطريقة معيّنة، {وَقُولُوا حِطَّةٌ} يعني سيجتمع لهم خيري الدّنيا والآخرة؛ سيأكلون من حيث شاؤوا رغدًا، والأكل المقصود به أنّهم سيعيشون في نعيم، ولو قالوا القول الّذي أُمروا به؛ لكان اجتمع لهم مع ذلك أنّ يغفر الله لهم خطاياهم؛ يعني كان سيجتمع لهم في امتثالهم لمثل هذا الأمر خيري الدّنيا والآخرة، وليس هذا فقط؛ وإنّما أيضًا يُزَادُ المحسنين.

إذًا الّذي يفرّط بمثل هذا؟ ماذا يصير وصفه؟ ظالم، ظلم نفسه؛ لأنّه كانت هناك فرصة يصل منها إلى مصالح الدّنيا والآخرة فضيّعها.

سنرى الآن تفصيل الظّلم، كيف صار الظّلم؟

{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} إذًا أين الإشكال؟ عدم الطّاعة، وعلى كلٍّ حال؛ فإنّ سورة البقرة كلُّها تدور حول الاستسلام، وعدم الاستسلام؛ ولذلك سُمّيت سورة البقرة لأنّهم لمّا أُمروا بذبح البقرة؛ ما استسلموا مباشرة.

وهذه مقدّمة؛ أنّ هذه هي حالتهم؛ أنّهم لا يستسلمون للأمر: قيل لهم: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} ماذا فعلوا؟ {فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ} وورد في سورة الأعراف بيان زائد لهذا الحال منهم.

ولأجل أن تتأكّدي أنّ فهمك هذا صحيح؛ قال الله عزّ وجلّ: {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} ستُرجعك {ظَلَمُوا} إلى {وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

- **خاتمة الآية (٥٧)**: وصف لحالهم مع نِعَمِ الله.
- **الآية (٥٨) والآية (٥٩)**: تفصيل لهذه الحال، أو نموذج لهذه الحال.

بهذا نكون انتهينا من ذكر النّعم؛ كلّ هذه النّعم كان المفترض أن تُقابل بالشّكر، يعني الّتي هي نهاية الآية (٥٦): {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لكن هم قابلوها بالظّلم؛ الّذي هو وضع الشّيء في غير موضعه، يعني بدلًا من السّمع والطّاعة، أتى العصيان.

سنرى كذلك نموذجًا آخر؛ في الأوّل كنّا نعدّد النّعم؛ بينما الآن سَنُعَدِّدُ الظّلم الّذي وقع منهم:

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}

(٢) تعداد قبائح التّصرّفات أمام النِّعم من الآية (٦٠) إلى الآية (٧٤)

مدارسة الآيات (٦٠_٦١): نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ}: هذا مؤشّر إلى وُقوع المَلَل من النّعم وصل بهم إلى البَطر الّذي هو أوّل الفساد:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}[1].

سنرى هنا كلامًا عن عدم شكرهم للنِّعم، يعني كفرهم لها؛ لكنّهم ذُكّروا أوّلًا بخصوصيّة في النِّعمة:

- **الآية (٦٠)**: كان فيها خبرًا واضحًا عن أنّ الله خصّهم بالنِّعم.
- **والآية (٦١)**: ردّهم على هذه النِّعم.

يعني نحن انقطع عنّا الكلام عن التّذكير بالنّعم بأنّهم: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، وأنّهم قيل لهم: {ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ} فعلوا كذا وكذا...

طيّب، الآية (٦٠) ماذا تُعتبر بالنّسبة للآية (٦١)؟ تُعتبر مقدّمة للحال الّتي حصل فيها كفران،

يعني كأنّه يُقال: تصوّروا متى قالوا هذا القول: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ}؟ فكأنّك ستعودين للآية (٦٠): {وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} هذا وحده نعمة، كون أنّهم لا يعتركون على العيون؛ فكلّ واحد يعرف العين الخاصّة

(١) سورة البقرة: ٦٠_٦١.

بقبيلته؛ أليسوا اِثْنَيْ عَشَرَ سبطًا؟ من أين عرفت أنّهم اِثْنَيْ عَشَرَ سبطًا؟ أبناء يعقوب -عليه السّلام- أعيدي إذًا السّلسلة إلى أن تصلي إلى إبراهيم عليه السّلام:

١) إبراهيم عليه السّلام.

٢) ثمّ إسحاق عليه السّلام.

٣) ثمّ يعقوب عليه السّلام.

٤) ثمّ أبناء يعقوب عليه السّلام.

أبناء يعقوب، كم ابن؟ {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا}[١].

يوسف -عليه السّلام- وَإِحْدَى عَشَرَ من الإخوة؛ صاروا كلّهم اِثْنَيْ عَشَرَ: إذًا هؤلاء أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليه السّلام. إبراهيم -عليه السّلام- كم ابنا لديه؟ إسحاق وإسماعيل.

إسماعيل بالنّسبة للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- جدّه.

يعني أمّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأمّة موسى أبناء عمومة. مَنْ جدّهم؟ إبراهيم عليه السّلام.

إذًا{اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} يعني بقدر أبناء يعقوب -عليه السّلام- فالأبناء ليسوا أنفسهم في زمن موسى -عليه السّلام- إنّما المقصود بأنّ كلّ ابن أصبحت منه قبيلة؛ فإنّ {اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} هذه وحدها كانت نعمة في كونهم لا يختلفون؛ لأجل ذلك قيل: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ} كلّ قبيلة منهم قد علمت مَشْربها؛ إذًا لا يوجد مشاكل بينهم، والوضع هادئ تمامًا.

{كُلُوا وَاشْرَبُوا}: {كُلُوا} إشارة لما سبق؛ الّذي حصل عليه كُفرانهم؛ الّذي هو المنّ والسّلوى. وهنا كذلك: {وَاشْرَبُوا} فجُمع لهم.

ثمّ حُذِّروا: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} لماذا بعد أن يُعطَوا النّعم؛ يُقال لهم: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}؟ لأنّه عندما تأتيك النّعم هبات، حين لم تكن أنت من سعيت إليها، عادة يحصل البَطر، وهذا مقدّمة للآية الّتي ستأتي بعدها مباشرة، يعني نتيجة أنّ النّعم أتت هبات بأيسر ما يكون؛ فالمُتوقّع حصول الإفساد. الإفساد بمعنى: البَطر. يعني عنوان الفساد في النّعم، البطر عليها؛ لأنّه بعد البَطر، أو

(١) سورة يوسف ٤.

تحت البَطر، بل تحت هذا الشّعور؛ تأتي كلّ الخبائث تجاه النّعم: استعمالها فيما لا ينفع، الإسراف فيها، عدم شكرها، الملل منها، كراهيتها، كلّ مَفسدة تأتي تحت البَطر.

صفي لي بَطَرهم؟

أوّل شيء: {ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ} جعلوا أكلها يحتاج إلى صبر؛ هذا أوّل البَطَر. أنّهم قالوا: {لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ} يعني كأنّ {ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ} يحتاج منهم إلى الصّبر. وليس الشّكر! هل رأيتم البَطَر! يكون عندهم أطيب طعام؛ ثمّ بعد ذلك يقولون: (نحن لم نقدر على الصّبر عليه)! والواجب على العبد عندما يكون عنده أطيب طعام أن يعجز عن الشّكر وليس الصّبر! لكن أن يعجز عن الصّبر، فهذا إشارة إلى أنّه بَطِرَ، وصل إلى حدّ المَلَلِ من النّعم!

إذًا الاسم العامّ للفساد: البَطر، والبَطر أهمّ عامل فيه المَلَل.

ثمّ من البَطر، بعد الملل من النّعمة؛ يطلبون الأدنى من النّعمة، بعدما كانوا في الأعلى! أي أنّ الإنسان حين يبطر، يصل إلى درجة كراهية نعمة الله، وهذا تعريف البَطر: فإنّ البَطر: كراهية نعمة الله؛ ثمّ هناك شقّ ثانٍ: وتمنّي زوالها. وأنا لا أظنّ أنّ هناك عاقل بعد أن يعرف التّعريف يقبل أن يكون بَطِرًا.

لكن ما هي المشكلة؟ أنّ التّعريف النّظري كلام، وحين يعيش الإنسان البَطَرَ؛ فإنّه في الشّعور النّفسي لا يقول لك: (أنا بَطِرٌ!)، أنت ستحدّدين ما هو هذا الشّعور الّذي في داخلك؟ هل واضح؟ يعني البَطَر لا يأتي بعنوانه! المَلَلُ من النِّعمة لا يأتي يقول لك: (إنّ هذا بَطَرٌ!) وإنّما أنت تشعرين بالمَلل من النّعمة، وتَتَمَنّيْ زَوالها، وتَتَمَنّيْ بَدل هذه العَالِيَة؛ أن يأتيك الأدْنَى منها.

وكلّ واحد فينا يفكّر في أيّ زاوية قد حصل له البَطَر؛ لأنّه لابدّ من هذا الشّعور النّفسي أن يأتي مع ضعف الإيمان؛ كلّما قوِي إيمان العبد، فتّش أين وقع منه البَطر؟

فمعنى البَطَر: أنّ الإنسان لا يشعر بالنّعمة؛ فيملّ منها، ويتمنّى زوالها.

ماذا قال لهم موسى عليه السّلام؟ حدّد لهم المشكلة؛ قال: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} وبعد ذلك أرشدهم: أيّ مِصْرٍ من الأَمْصَار هَبَطْتُم فيها، ستجدون هذا الشّيء المتداول بين النّاس، بينما المميّز الّذي عندكم سيذهب!

بسبب هذا عوقبوا {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ}: هذا جَرّ عليهم أعظم من البَطَر على الطّعام والشّراب؛ جاءت المصائب الأكبر الّتي فيها بَطَر.

هل لاحظتم كيف أنّ الّذي سياسته في الحياة أنّه تكون عنده نعمة ولا يشعر بها ولو صغيرة، وترك نفسه على ذلك، ستكبر ممارسته للبَطر!

كيف كبرت عندهم ممارستهم للبَطر؟ وصلوا إلى أنّهم {يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ} يعني بَطروا على أنّ الله خصَّهم بالكتاب، {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ووقع منهم بطر على أنّ الله جعل من يسوسهم، هم: الأنبياء.

إذًا ما ميزة هذه الخاتمة، لأنّك انتقلت في السّياق من طلبهم لمسألة تتّصل بالأكل والشّرب، إلى كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء. لماذا؟ كيف حدثت هذه الانتقالة؟

لأنّ البَطر مرض إذَا لم يُعالج يزيد وينتشر، ويصير على كلّ شيء.

لأجل ذلك لابدّ أن نلزم أنفسنا بالحمد على كلّ كبيرة وصغيرة، ولو كسرة خبز؛ نأكلها ونحمد الله عليها. وأعظم من ذلك: ما منّ الله به علينا من الدّين، والقرآن، والاجتماع عليه، وتيسير وليس فقط القدرة، وتيسير كلّ الشّؤون المتّصلة بالاستقامة من فضل الله -عزّ وجلّ- فلا أحد يَبْطُرُ على ذلك! فالّذي يبطر على مثل هذه العطايا الدّينيّة؛ تزول! ويأتي عليها سُلطة لا تسمح له بذلك!

لذلك نسأل الله -عزّ وجلّ- أن لا نكون نحن سببًا لزوال هذه النّعمة عمّن ورائنا؛ لأنّ الجيل يأتي يبطر على النّعمة؛ فتزول عمّن ورائه، ويكون هو السّبب في ذلك، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن لا نكون نحن ولا ذرّيّتنا سببا لزوال هذه النّعمة، الله يحفظها ويزيدها وينشرها على ديار المسلمين، اللّهم آمين.

على كلّ حال لا تنسوا خاتمة هذه الآية: أنّ البَطر انتقل من الشّئون الصّغيرة المتّصلة بالدّنيا، إلى الدّين، وما يتّصل بحياة الرّوح: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}.

سنصل الآن إلى أنّه: أصلًا لماذا شعروا بالبَطَر؟{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}

يعني كثرة العصيان تميت القلب؛ فلا يشعر بالنّعم، حين تقولين لأحدهم: (أنت بَطِرٌ)؛ يقول لك: (أين النّعمة أصلًا! لكي أبطر عليها؟)!

والسّبب أنّ القلب حين يموت يفقد إحساسه؛ فإنّ موت القلب فقدان الإحساس، مثل حياة القلب، ما معناها؟ معناها أنّ هناك إحساس؛ فالمعاصي تُفقد الإنسان الإحساس، والاعتدال.

لا تنسي أنّنا من الآية (٥٧) بدأنا نرى أنواع ظلمهم: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ} فهذه كانت مواقفهم الّتي حصلت منهم؛ وبهذا نكون انتهينا منهم، ومن الكلام عن مواقفهم.

سنرى الآية (٦٢): آية عظيمة جدًّا؛ تَحْكُمُنا في التّفكير:

مدارسة الآية (٦٢): أتت هذه الآية في السّياق تُعتبر مُعْتَرِضَةً لمعنى عظيم يقول: لا باب يُغلق بينك وبين الله:

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[1].

هذه الآية في السّياق تُعتبر مُعْتَرِضَةً، لمعنى عظيم؛ لأنّه ستأتي الآية الّتي بعدها: {وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ} لازال الكلام عنهم؛ لكن هذه الآية أتت معترضة.

في قوله تعالى: {وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ} هل رأيتم هذه الجملة قابلها: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ} ماذا يُقال؟ (هؤلاء استثناء من بني إسرائيل.)

- **النّقطة الأولى:** هذا إشارة إلى الاستثناء: أنّه ليس كلّ بني إسرائيل {ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ}؛ ولكن هناك فريق آمن؛ فخرج من ذلك.

- **النّقطة الثّانية:** هناك طريق سهل للخروج من غضب الله إذَا وقع؛ يعني الله يدلّنا أنّ هناك طريق سهل للخروج من غضبه إذَا وقع، يعني إذَا تعرّض الإنسان لغضب الله؛ الّذي هو أنّهم يؤمنون: {مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا} فهذا هو الطّريق اليسير السّهل. بمعنى: أنّك لو خطفك الشّيطان؛ مهما ابتعد بك بعيدا؛ فإنّ هناك طريقًا قريبًا لربّ العالمين. ما هو الطّريق القريب؟ {ءَامَنَ} {وَعَمِلَ صَٰلِحٗا} يعني لو بقي الإنسان ٦٠ عامًا في باب الباطل، وما بقي له في الحياة إلّا يومًا واحدًا، وَ{ءَامَنَ} {وَعَمِلَ صَٰلِحٗا} قبل أن يغرغر، وكان صادقًا في توبته؛ ووصل في التّوبة إلى أن يُقطّع قلبه من شدّة التّوبة، وقبِل الله منه ذلك؛ تتبدّل سيّئاته حسنات.

(١) سورة البقرة: ٦٢.

فكأنّه يُقال: مع الله ليس هناك باب مُغلق؛ ولذلك أتى الاعتراض في هذا السّياق، يعني لمّا سمعت أنّه: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ} فإنّ كلّ هذه أشياء عظيمة، تُشعر وكأنّ الباب قد أُغلق عليهم! فأتت الآية معترضة تقول: لا يُغلق باب بينك وبين الله.

{فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أنت تتوقّعين أنّ هذه للّذين {هَادُواْ}! لماذا جُمع غيرهم معهم؟ لماذا {ٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ} معهم؟ لأنّها قاعدة عامّة؛ فهي أصلًا في السّياق لبني إسرائيل؛ لكنّها معنى عامّ للجميع.

سنرجع الآن مرّة أخرى لبني إسرائيل:

مدارسة الآيات (٦٣_٦٤): نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله: لمّا رفضوا أخذ الكتاب رفع فوقهم جبل الطّور لبيان قدرة الله لكن ما استفادوا وإنّما رجعوا وكذّبوا:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ}[1].

هنا أيضًا {وَإِذْ} بمعنى و"اذكروا". هذه القصّة مثل بقيّة القصص الّتي سَلَفَتْ قريبًا، فيها: أنّ الله –عزّ وجلّ– أراهم بطشه ورحمته، بعد أن عصوا.

ما مجمل الآية (٦٤) ؟ ماذا يعني {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}؟ متى رُفع فوقهم {الطُّورَ}؟

لمّا تمرّدوا على أوامر الله، ولمّا رفضوا أن يأخذوا الكتاب؛ رفع الله فوقهم جبل الطّور لبيان قدرته.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ} يعني المقصود: الكتاب، ما قبلوا أن يأخذوا الكتاب؛ فرفع الله عليهم {الطُّورَ}. الجبل، يعني هناك جبال خاصّة تسمّى طورًا، قيل: أنّها الجبال الّتي تنبت فيها نباتات صغيرة، لكن في النّهاية؛ فإنّها جبل له صفة معيّنة، وليست المنطقة الّتي كلّم الله فيها موسى عليه السّلام.

{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} بعد أن أخذ ميثاقهم ورفع عليهم الطّور، تولّوا. {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}؛ ولازالت رحمة الله عليهم.

(١) سورة البقرة: ٦٣_٦٤.

رفع الطّور عليهم؛ تهديدًا لهم، وما استفادوا منه؟ وإنّما رجعوا وكذّبوا! وهذا هو الإشكال! الإشكال في أنّ هناك كثيرين يُشابهون بني إسرائيل، بنو إسرائيل رُفع عليهم الطّور، يعني جاءتهم آية عظيمة تدلّ على بطش الله؛ بصورة واضحة في وقتها! لكنّ النّاس من بعد ذاك الزّمان، وهم تأتيهم آيات تدلّ على قدرة الله؛ ولا تقع عليهم وإنّما يُهدّدون بها، ولكنّهم بعدما تَفُوت ينتهي أثرها.

سَيُذَكّرُون أيضا بأمر آخر، في الآية (٦٥) والآية (٦٦):

مدارسة الآيات (٦٥_٦٦): نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله: قصّة أصحاب السّبت: التّحايل على أمر الله وعدم معاملة الله بما يستحقّ من التّعظيم:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}(١).

هذا أيضًا نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله. أين النّموذج السّابق؟ أنّ الله –عزّ وجلّ– أخذ الميثاق، ورفع عليهم الطّور: {خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ}، {ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ}: إذًا هذا يُعتبر نموذجًا من نماذج الاستخفاف بأمر الله. هنا ما هو النّموذج؟ قصّة أصحاب السّبت. أين استخفافهم في القصّة؟

لمّا تحايلوا على أمر الله، يعني أغبياء! كأنّهم {لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}(٢) ويتعاملون مع ربّنا كأنّهم يتعاملون مع الخلق، بمعنى: استخفافهم هذا بسبب عدم تعظيمهم الله، **يعني عدم معاملة الله بما يستحقّ من التّعظيم**. التّعظيم النّاتج عن معرفتهم لأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ فإذًا ما الّذي يحلّ مشكلة الاستخفاف؟ العلم بالله علمًا يورث التّعظيم، وليس علمًا محفوظًا، كلامًا يقوله الإنسان!

ولازالت هذه سُنّة ماضية في الاستخفاف بشرع الله، يعني كلّ الّذي يستخدم التّحايل على شرع الله؛ يكون فيه شبه باليهود، مثل التّحايل على الرّبا، التّحايل على المحرّمات عمومًا يُعتبر استخفافًا بعظمة الله، مشابهًا لليهود؛ لأجل ذلك ركّزي في أيّ مسألة تأتيك فيها إباحة بعد حرمانيّة؛ لابدّ أن تعرفي هل هذه من التّحايل أم هذا صدق والدّليل واضح.

سنأتي الآن إلى الجريمة العظيمة الّتي **سمّيت بها السّورة: سورة البقرة**؛ اقرئي السّياق كاملًا.

(١) سورة البقرة: ٦٥_٦٦.

(٢) سورة البقرة: ٧٧.

وأريد منكم أن تحدّدوا: **الأمر**، وفي المقابل: **الرّدّ**.

١. **الأمر**: ما أُمِرُوا به من جهة موسى عليه السّلام؟

٢. **الرّدّ**: وفي المقابل ردّهم الّذي يدلّ على عدم التّسليم؟

مدارسة الآيات (٦٧_٧٤): نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله: فوائد من قصّة البقرة:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٦٩) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[١].

هذه القصّة مشهورة، معروفة، ابتدأت بالكلام عن مناقشة القوم مع نبيّهم، لكن ما هو أصل القصّة؟

القصّة السّابقة الآيتان الأولى فيها إشارة إلى أصحاب السّبت.

ما هي العلاقة بين قصّة أصحاب السّبت، وبين قصّة البقرة؟

الاستخفاف بالأوامر، يشتركون في عدم تعظيم الله –عزّ وجلّ– وأوامر الله عزّ وجلّ؛ لأجل هذا فإنّه أوّل ما جاء السّياق: أُخبرنا عن طريقتهم في التّعامل مع الأوامر، وليس أصل القصّة؛ وإنّما أصل القصّة أتى متأخّرا في الآية (٧٢)؛ لأجل أن تُشبّه بين قصّة أصحاب السّبت، وبين قصّة أصحاب البقرة؛ كلاهما اجتمعا في عدم تعظيم الله، مع اختلاف السّبب؛ فالسّبب ليس هو المشكلة؛ **وإنّما المشكلة في النّهاية أنّ هذا هو أُسلوبهم:**

(١) سورة البقرة: ٦٧_٧٤.

- **عدم تعظيم الله.**
- **عدم تعظيم الأوامر.**
- **قلّة توقير الأنبياء.**
- **كثرة مُراجعتهم للحقّ؛ لأجل أن يردّوه.**

دعونا الآن نضع نقطتين؛ نركّز فيهما هذه المسألة:

النّقطة الأولى: حالة بني إسرائيل:

ماذا في قلوبهم؟ دعونا نرى موقفهم مع الحقّ، كيف تصفين قلوب بني إسرائيل؟ رادّة للحقّ؛ **هذه هي حالتهم: أنّهم لا يهمّهم الحقّ، رادّون له.**

النّقطة الثّانية: سلوك بني إسرائيل:

صفي سلوك بني إسرائيل ليصلوا إلى ردِّ الحقّ؟ **عندنا سلوكان:**

١. **في قصّة أصحاب السّبت:** ظهر لك سلوك، الّذي هو: **التّحايل.**

٢. **في قصّة البقرة: كثرة المراجعة لنبيِّهم.**

كثرة المراجعة، هل لأنّهم يريدون أن يعرفوا الحقيقة؟! لا.

هذا مثله إذا قالت الأم لابنتها: أحضري كأس ماء؛ فتقول لها: (باردة أم حارّة؟ كثيرة أم قليل؟ ملآنة أم نصفها؟)! هل ترون؟! إلى أن تنسيها الموضوع!

فهم فقط يريدون أن يدفعوا عنهم الأمر! فماذا يفعلون؟! يكثرون من المراجعة؛ حتّى لا يقع التّنفيذ!

{وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ} يعني هم قلوبهم رادّة للحقّ. **ما هو السّلوك؟**

السّلوك الأوّل: التّحايل، في قصّة أصحاب السّبت.

السّلوك الثّاني: كثرة المراجعة.

لأجل هذا؛ فإنّك لا تخطئي أبدًا في الحفظ: أنّه في سورة البقرة أوّلًا: أتت قصّة أصحاب السّبت – طبعًا أتت القصّة موجزة، أو تمّ الإشارة إليها – ثمّ بعد ذلك أتت بالتّفصيل قصّة البقرة.

دعونا نرى: **أفعالهم: أوامر موسى –عليه السّلام– وَرُدُودهم**؛ لأنّ هناك كلام مهمّ جدّا هنا، لابدّ أن نفهمه: الآن ستقرئين الآية (٦٧):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} من أجل أن تعرفوا القاتل.

هم الآن شعروا أنّ هناك فرق كبير بين شكواهم، وبين أمر موسى –عليه السّلام– بين شكواهم الّتي اشتكوها بأنّهم يريدون أن يعرفوا القاتل، وبين الأمر؛ لمّا رأوا الفرق الكبير؛ نسوا أنّ هذا نبيّ، وأنّه يُوحى إليه، وأنّه لا يجوز أن يحكموا بعقولهم على ما يُخبرهم به النّبي. ماذا كان مبدأ الجريمة؟ أنّهم حكّموا عقلهم.

فوائد من قصّة البقرة

الفائدة الأولى: أنّ سبب كثرة مراجعتهم لرسولهم تحكيم عقولهم:

ماذا يعني تحكيم عقولهم؟ فهم قارَنوا **بين مطلبهم، والأمر**؛ فرأوا أنّه لا يوجد بينهما علاقة؛ فكانت النّتيجة: أنّهم ردّوا ما أُمروا به! لكن سنرى كيف كان ردّهم الآن؛ اقرئي:

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالُوا أَتَتّخِذُنَا هُزُوًا}.

الفائدة الثّانية: أنّ أهل الاستهزاء يرون من حولهم بأعينهم:

يعني تصوّري: موسى –عليه السّلام– في مقام النّبوّة، يوحى إليه، ينزل إليه جبريل، يخاطبه ربّ العالمين، كليم الله، **تصوّري هذه المكانة العظيمة!** فيأتي يخبرهم خبرًا عن الله؛ وهم أصلًا طوال حياتهم مستهزئين، عندهم سياسة عدم الاهتمام؛ فهم تصوّروا أنّ موسى –عليه السّلام– مستهزئ مثلهم! لأجل ذلك لابدّ أن تتصوّري السّياسة الّتي تدخل علينا اليوم؛ **لأجل أن يفقد الإنسان التّعظيم؛ فإنّ سياسة إفقاد التّعظيم تبدأ بأنّه كلّ شيء يُستهزأ به**: ليس هناك شيء عظيم أمام الإنسان، ليس هناك ثوابت؛ ثمّ كلّ فترة يقول لك: (فقط نحن نريد أن نضحك! دعونا نضحك!)

مثلًا: يؤذون النّاس ويقومون بتصويرهم، وهم يضحكون، ويُضَحِّكُونَ النّاس على هذا الإنسان؛ وبعد ذلك يقولون له: (هل ننشرها؟) فيقول لهم: (ليس هناك مشكلة!) لأنّه أصلًا من طبعه أنّه مُستهزئ! هذا فعل أهل الكفر، ثمّ جاء أهل الإسلام، قلّدوهم بنفس الطّريقة! أصبحوا يَقبلون على أنفسهم أن يُستهزأ بهم، وأن يصوّروا في ذلك، ويرون بأنّ هذا شيئًا مقبولًا! وتنتشر، تنتشر، مثل هذه السّياسات، ويصير الأمر العظيم، الخطير، المُفجع، الّذي ممكن أن يفجعوا فيه أحد إلى حدِّ إماتته! ثمّ بعد ذلك

يقولون لك ماذا: (نحن نضحك!)! ثمّ بعد ذلك، أصبحت كلمة: (مَقْلَب! وسأفعل فيه مَقْلَب!) وهذا الكلام السّخيف، التّافه، **أصبحت سياسة حياةٍ!**

واحد يكون هكذا، طوال حياته يفكّر ليلًا نهارًا: يفتح هاتفه فيرى هؤلاء: (يَضْحكون، ويُضَحّكوننا، وكلّ شيء يُضحِّك...)! ثمّ دعيه يأتي يقرأ القرآن! دعيه يأتي يتحوّل من مقام الضّحك، وقولي له: (تعال نقرأ كلام الله! ونأخذ كلامًا جَادًّا!)! كيف ستكون نفسيّته؟! أبدًا! **وهذه أصلًا سياسة يهوديّة!**

لأجل ذلك انظري: أوّل ما أمرهم، وقاسوا بعقولهم أنّهما أمران، ليسا متساويين! مُباشرة انتقلوا من كونه: **وحيًا**، إلى كونه **استهزاء**؛ لأنّهم كأنّهم يقولون لرسولهم، الّذي تنزل عليه الرّسالة! الّذي كلّمه الله! كأنّهم يقولون له: (أَتَمْزَحْ؟! أَتَمْزَحْ؟!) يعني **بنفس أسلوبهم في الحياة: كذّابين**؛ فهذا الاستهزاء العظيم، عندما يصير وصفًا للإنسان في الحياة؛ لابدّ أن يدخُل فيه الكذب!

فلمّا أتوا في هذا الموقف العظيم، ويريدون أن يسمعوا من رسولهم حلّا لمشكلتهم، وقاسوا بعقولهم أنّ الحلّ غير مناسب للمشكلة؛ أوّل شيء تبادر لذهنهم أنّه يستهزئ بهم! لأجل ذلك قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} مثل حين تأتي لأحد وتقولين له شيئًا مهمًّا جدًّا، ويردّ عليك بردّ غير متوقّع؛ فأنت انظري هذا من؟ هل هذا إنسان في حياته مستهزئ؟ أم إنسان جادٌّ، ويتحمّل المسؤوليّة، فأكيد أنت ستتوقّعين من طبيعته معنى هذا الرّدّ.

فهذا رسول من عند الله كيف تظنّون أنّه يُمازحكم في شأن عظيم؟! ويأمركم أمرًا يكون كَذِبًا؟! لأنّه: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} مقابل: {يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} **معناها: في تصوّرهم**: أنّه ممكن لموسى- عليه السّلام- أن يكذب على الله، ويقول لهم: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ} **يعني ممكن في تصوّرهم**: أنّ موسى -عليه السّلام- يقول على ربّ العالمين كذب! ويأمرهم بكذب على باب المزاح! هذا **لأنّ أعينهم لا ترى إلّا بطبعهم**؛ أنّهم مستهزئين، وهذا من آثار التّربية الفرعونيّة! كأنّها ماتت قلوبهم، وماتت الجدّيّة، وماتت المسؤوليّة؛ فصاروا مجرّد أذيال؛ فلأجل أن يريحوا أنفسهم: أصبح كلّ وضعهم، وكلّ حالهم يضحكون، ويضحكون؛ لأنّهم لا يشعرون بالمسئولية؛ وليس لديهم طموح أن يكونوا أو يكونوا، فخرجوا من العبوديّة إلى المسئوليّة ولكن لم يجدوا القدرة على تحمّل المسألة! **خرجوا من العبوديّة للمسئوليّة، وبقوا على نفس تفكيرهم في الاستهزاء، والمُزاح، إلخ...**

وهذا كلّه ليس منعًا للضّحك! لكن **عندنا حدود لكلّ شيء، فأيّ شيء يتعدّى حَدّه؛ لابدّ أن ينقلب على صاحبه.**

الفائدة الثّالثة: أنّ الاستهزاء في مواقف الحقّ، لا يأتِ إلّا من جاهل:

الفائدة الرّابعة: أنّ حقّا على من كرّم نفسه وشكر ربّه على نعمة العقل أن يستعيذ من حال الجُهّال.

المشكلة أنّ طوال الوقت النّاس يقولون: (احترمونا! احترمونا! لابدّ أن تحترموننا!) وهم أنفسهم لا يحترمون نعمة الله عليهم! **لأنّ الّذي يحترم نعمة الله عليه؛ يجب أن يستعيذ أن يكون من الجاهلين.**

وأهمّ صورة من صور الجهل: أن يبقى في كلّ معالم حياته لا يريد إلّا أن يضحك، ويُضحّكوننا، ويُضحّكون النّاس علينا! ونَضْحَكَ، ونُضْحِكْ بعضنا البعض، وفقط! **وهذه: إنّما هي سياسة في الحياة!** تجده طوال الوقت يتصفّح هاتفه، ماذا تفعل؟ ماذا تتعلّم؟ (لا! فقط أريد أن أضحك)! فإذًا صارت غاية! بينما الّذي أكرم نفسه، وعرف نعمة الله عليه؛ لابدّ أن يستعيذ بالله من أن يكون: {مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ}.

تصوّروا هذا المعنى، وتصوّروا فيما يُقابله: كيف أنّ أحد السّبعة الّذين يظلّهم الله تحت ظلّه: شابّ نشأ في طاعة الله[1] لأجل أن تتصوّروا الحالتين المتفاوتتين: واحد همّه فقط أن يضحك، ويلعب، ويمزح، وفي المقابل: الّذي يستفيد من هذه الفترة – فترة الشّباب – يتعرّض لأن يكون تحت ظلّ عرش الله.

على كلّ حال، فإنّ هذا الرّدّ ألجم بني إسرائيل.

الآن طلبوا منه طلبًا آخر:

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}.

إذًا هذا بعدما بدؤوا في الاستسلام لأنّه أمر، وعلموا أنّه يكلّمهم بجدّيّة، بدؤوا باستبعاد التّنفيذ، لماذا؟ في ماذا كان سيضرهم التّنفيذ؟

بدؤوا يستثقلون الأمر، ويُراجعونه؛ لأجل أن لا يُنفّذونه **ولابدّ أن تتصوّروا هذه النّفسيّة:** هل تعرفون النّفسيّة؛ الّتي أوّل ما تقولين لها: (افعل أيّ شيء) تقول لك: (لا!)! حتّى لو كانوا يريدونه؛ فإنّ أوّل

(١) أخرجه البخاريّ (٦٤٥٣) متن الحديث: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ فِي خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا ، قَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ)

كلمة يقولونها: (لا!)؛ فهذه طبيعة نفسيّة سيّئة؛ أنّه: (أنا لا أمتثل للأمر!)! لماذا لا يمتثل للأمر؟! لأنّه يرفض أن تكون هناك سلطة عليه؛ حتّى لو كنت تقولين له شيئًا في مصلحته؛ لا يستجيب؛ وإنّما لابدّ أن تكون أوّل كلمة: (لا!)؛ ثمّ بعد ذلك يُكمل، ويقول: (أفعل)؛ لأجل أن يقول: (أنا موجود! وليس على هواكِ تأمريني!)! **وهذه من أفسد النّفسيّات الّتي لا تفكّر في الحقّ؛ مباشرة تردّ الحقّ.**

إذًا هم أوّل ما أمرهم، أرادوا ردّ الحقّ. حين قالوا: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}: **كان مضمون هذا السّؤال ردّ الحقّ.**

مرّة أخرى: **لماذا يريدون ردّ الحقّ؟** نفوس غير سويّة! **نفس غير سويّة حتّى في مصلحتها؛ لا تقبل أن تمتثل إلى الحقّ!**

فعلينا أن نراجع أنفسنا ولا نكون هذه الشّخصيّة، **لكن إذا قابلت في حياتك مثل هذه الشّخصيّة؛ فاعلم أنّها ابتلاء عليك؛ لأجل أن يحصل الصّبر: تصبرين، وتدعين ربّنا،** وإذَا كان لابدّ أن يُبان الحقّ له: فإنّنا نُدَارِيهِ [١] من هنا، ومن هنا؛ إلى أن يصله الحقّ – فالأمر لله – فهؤلاء بَلَايَا [٢].

ولابدّ أن ننصح ولن نتركهم؛ على حسب موقفنا منهم.

الآن بني إسرائيل {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}: سؤالهم هذا بسبب إرادتهم ردّ الحقّ، مع ذلك موسى عليه السّلام: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ} ثمّ وُصِفت بأنّها: {لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ}، {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} وبعد ذلك أكّد عليهم: {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}: **كم مرّة جاءت كلمة "الأمر" في السّياق؟** مرّتان

المرّة الأولى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ}.

والمرّة الثّانية: {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}.

على كلّ حال سيتبيّن لنا – إن شاء الله – المرّة القادمة، شيئًا من فوائد القصّة.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) **هي**: دارى يُداري، دَارَى صَاحِبَهُ: لاَطَفَهُ، لاَيَنَهُ. "معجم المعاني الجامع".

(٢) **هي**: الكَارِثَةُ، الْمُصِيبَة. "معجم المعاني الجامع".

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء السّابع: الخميس ١٦ صفر ١٤٤٠ هـ

" دراسة القسم الثّاني من المقصد الثّاني (٧٥_١٢١)"

تابع مدارسة القسم الأوّل
من المقصد الثّاني (٤٩_٧٤)

تابع تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (٢) تعداد قبائح التّصرّفات أمام النِّعم من الآية (٦٠) إلى الآية (٧٤).

المقدّمة: مراجعة ما سبق

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، كنّا انتهينا من إكمال المقصد الأوّل، **وهو: الكلام عن دعوة النّاس إلى الإسلام كافّة.** والآن **نبدأ في إكمال المقصد الثّاني: وهو: دعوة بني إسرائيل خاصّة؛** الّذي بدأ بالآية **الفذّة:** {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}[1].

كان هذا الجزء فيه مقدّمة؛ الّتي **هي:** دعوة بني إسرائيل خاصّة من الآية (٤٠) إلى الآية (٤٨).

وفي هذا المقطع تكرّر نداء: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} مرّتين، ومن هنا بدأ: {إِذۡ} الّتي هي بمعنى: واذكر؛ لأنّ "إذْ" عندما تبدأ في أوّل الكلام؛ يُقصد بها: واذكر هذه النّعمة.

إذًا عرفنا حال بني إسرائيل مع النّعم، وهذا كان بعد المقدّمة. ما هو المقصود من تذكيرهم بالنّعم؟

فهذه المسألة في كلّ جيل، أو في كلّ خلق؛ يُقال نفس الأمر: هذه نِعم سابقة؛ **وما يُذكّر النّاس بالنِّعم إلّا للشّكر،** فقط! لكن هنا الشّكر له وضعه الخاصّ؛ ما معنى شكر بني إسرائيل الّذي طُلِبُوا به هنا؟

الإيمان بالنّبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا كان في المقدّمة. ألم تكن في المقدّمة: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}؟ وبعد ذلك إذَا ذكروا النّعمة الّتي أنعمها الله -عزّ وجلّ- عليهم: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}: إذًا هذا هو الشّكر، {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ}: **كلّ المقدّمة تقول: هذا الواجب أن يكون منكم، هذا هو المطلوب منكم.**

ثمّ في هذا الجزء الّذي بدأنا في دراسته، أتت النِّعَم بالتّفصيل؛ للوصول إلى أنّه يَلْزَمُهم الشّكر.

لكنّنا لم نسمع فقط عن النِّعم، فقد سمعنا كذلك عن قبائح بني إسرائيل أمام هذه النِّعم؛ كلّ هذا سمّيناه: **ذكر سالفة اليهود.**

ذكر سالفة اليهود جمعت بين: نِعَم الله -عزّ وجلّ- عليهم، وقبائح تصرّفاتهم أمام النِّعم.

---

(١) سورة البقرة: ٤٠.

نعم الله على بني إسرائيل:

١) {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ}(١).

٢) {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ}(٢).

٣) {وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ} (٣).

⇐ **كانت هذه كلّها نِعَمٌ.**

ذكر قبائح تصرّفات بني إسرائيل أمام نِعَم الله –عزّ وجلّ– عليهم:

القبيحة الأولى: بداية القبائح: {اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}(٤).

القبيحة الثّانية: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً}(٥).

القبيحة الثّالثة: {فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ}(٦).

القبيحة الرّابعة: {لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ}(٧).

القبيحة الخامسة: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ}(٨) رفع الطّور عليهم وتَوَلّيهم بعده، **يعني** الشّيء الّذي تسبّب في رفع الطّور، كانت قبيحة منهم؛ لأنّهم ما قبلوا أن يلتزموا إلّا برفع الطّور؛ ثمّ بعد رفع الطّور حصل التّوَلّي أيضًا.

القبيحة السّادسة: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ}(٩) الاعتداء في السّبت.

القبيحة السّابعة: موقفهم في قصّة البقرة.

---

(١) سورة البقرة: ٤٩.
(٢) سورة البقرة: ٥٠.
(٣) سورة البقرة: ٥١.
(٤) سورة البقرة: ٥١.
(٥) سورة البقرة: ٥٥.
(٦) سورة البقرة: ٥٩.
(٧) سورة البقرة: ٦١.
(٨) سورة البقرة: ٦٤.
(٩) سورة البقرة: ٦٥.

هنا لا يوجد ترتيب زمنيّ؛ فالأحداث لم تحصل بهذه الطّريقة في التّرتيب الزّمنيّ؛ لكن أنت ستفكّرين في القبائح.

هل هناك علاقة بين القبائح على مستوى التّطوّر؟ الآن أعظم مصيبة أن يقع منهم الشّرك، لكنّها أوّل مصيبة وقعت منهم! فهم لم يبدؤوا بالأقلّ! **لأنّهم بدؤوا مباشرة بالصّاعقة: بعدما رأوا الآيات الدّالات على نبوّة موسى –عليه السّلام– وعلى التّوحيد؛ يخرجون، يعبدون غير الله، مباشرةً!**

إذًا ذكر هذه القبائح في الآيات لا يدلّ على التّرتيب؛ أكيد أنّ هذه الأحداث لم يتمّ ترتيبها من جهة التّاريخ.

من جهة وقوع القبائح، أو من جهة جُرْمَها، على ماذا تدلّنا؟

- اتّخذوا العجل.
- وبعد ذلك قالوا: {لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً}(١).
- ثمّ أُمروا بشيء في مصلحتهم فبدّلوه.

أقصد بهذا، أن نتخيّل هذه النّفس: **كيف حالها؛ لأجل أن تفعل هذه القبائح؟**

أوّلًا: كونهم بدؤوا بعبادة العجل؛ هذا يدلّ على أنّهم لمّا اعتادوا الباطل، ما استطاعوا أن يخرجوا منه؛ هم أين اعتادوا الباطل؟ اعتادوا الباطل عند فرعون ولو تقدّمتم في الدّراسة؛ ستعرفون لماذا العجل بالذّات؟! لأنّ فرعون بنفسه كان يلبس قلادة –كما يُذكر– فيها صورة للعجل، فكان العجل عظيمًا عند فرعون. فهم لأنّهم كانوا يعادونه فقط، ويبغضونه؛ لم يتّحدوا معه في العبادة أو ما يُظْهِروا الاتّحاد معه في العبادة؛ لأنّه كان متسلّطًا عليهم؛ فكانوا يَعُادون عبادته لأنّهم يعادُونه شخصيًّا؛ لكن لمّا خرجوا، خرجوا وقد أُشربت أنفسهم العجل، **يعني** امتلؤوا تعظيمًا له، من خلال مُجاورتهم لأهل الباطل.

كان أهل الباطل أعداءهم، ألم يكن في أوّل السّياق: {وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ}(٢) كيف {يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ}، وأنتم في النّهاية تتّحدون معهم في العبادة؟ لكنّهم لمّا كانوا تحتهم، ما كانوا يعبدون مثلهم؛ بينما لمّا خرجوا من عندهم، كانت قلوبهم قد امتلأت تعظيمًا لمَا يعظِّمُونه.

---

(١) سورة البقرة: ٥٥.

(٢) سورة البقرة: ٤٩.

وهذا دائمًا يكون في حال المغلوب، كما يقول ابن خلدون: (المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب)[١] فالمغلوب المهزوم مولع دائمًا بتقليد الغالب؛ فماذا تكون النّتيجة؟ النّتيجة أنّك تشعرين مثلًا: أنّك تكرهين هؤلاء، وتكرهين هؤلاء، وبعد ذلك تجدين نفسك قد قلدّتهم! وتحاولين أن تتنصّلي نفسيًّا من الشّعور بأنّك تُقَلِّدينهم! وتريدين أن تقولي بأنّ هذا من عندك، وليس من عندهم!

إذًا هم أُشْرِبوا في قلوبهم العجل، يعني امتلأت قلوبهم تعظيمًا له؛ بسبب أنّهم عاشوا في مجتمع يعظّمه.

لماذا اتّخذوا العجل ولم يكن أيّ شيء آخر؟ كما يُذكر في التّفاسير، وفي بعض السِّيَر: أنّ فرعون بنفسه، كان يلبس هذا العجل، ويتوسّل به.

نحن الآن فهمنا علّة الابتداء بالعجل: لماذا أوّل قبيحة كانت عبادتهم للعجل؟

ولاحظوا: أنّ عبادتهم للعجل كانت بعد: {نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ}، {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}[٢] {وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}[٣] كلّ هذا في مرحلة الخروج من "مصر" إلى "سيناء" والخروج منها؛ ثمّ بعد ذلك في هذا الوضع: {ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ}! وحتّى لمّا أتى اليهود لعليّ بن أبي طالب يريدون أن يُعيّبوا في الأمّة الإسلاميّة؛ فقالوا له: (ما دفنتم نبيّكم حتى قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقال له علي: أنتم ما أن جفّت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: {ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ}[٤].)[٥] **يعني** على الأقلّ: أمير وأمير، مسألة منطقيّة؛ لكن بعد أن يُخرجكم من الشّرك إلى التّوحيد، ومن الذُّلّ إلى الحرّيّة، تريدون أن تكونوا مثل هؤلاء؟!

لماذا هي قبيحة جدًّا؟ لأنّك خرجت ممّا تبغض: من الشّرك! فأوّل شيء تفعله؛ أنّك تطلب الشّرك؟!

فأنتم تفهمون أنّهم: أُشربوا في قلوبهم العجل! وعلى هذا؛ فإنّه ما يأتي أحد يجاور أهل الباطل، ويعايشهم، ويقول: (لا! أنا لا أتأثر! أنا لا أتأثر!)! أبدًا لا تفكّروا في هذا! فلو كانوا لا يتأثّرون؛ ما كان بنو إسرائيل عظّموا العجل، كما كان يُعظّمه فرعون وهو عدوّهم!

تخيّلي: **هم تأثّروا بعدوّهم؛ فكيف التّأثّر بالصّديق؟!**

---

(١) "مقدّمة ابن خلدون" (ص٦١).

(٢) سورة البقرة: ٥٠.

(٣) سورة البقرة: ٥١.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٥) "كتاب الأذكياء" لابن الجوزي (ص١٢٤).

فلابدّ أن نُحَلِّلَ هذه القبائح من أين جاءت؟ لأنّه ما ذُكر لنا بنو إسرائيل، إلّا من أجل تحليل حالتهم. حلّلي حالتهم؛ فهم آدميّون مثلك، بل نحن نُعتبر أبناء عمومة، معناها: أنّنا كلّنا من بني آدم، وهذا يكفي أن تفهمي: أنّك ستفعلين مثلهم، لو صرت في ظرف يشبه ظرفهم؛ فلابدّ أن تفهمي: لماذا وصلوا إلى أن يفعلوا هذا الفعل؟ من أجل أن تحذري أن تفعلي مثلهم. فهنا ما هو سبب هذه القبيحة؟ مجاورة أهل الباطل، جعلت الباطل مقبولًا!

إذًا، هذه القبيحة الأولى، الّتي صدرت منهم؛ تدلّ على هذا المعنى.

على كلّ حال، كنت أريد أن نراجع كلّ القبائح، ونقول كلّ واحدة صادرة من ماذا؟ لكن سنحاول في بداية كلّ لقاء؛ أن نذكر القبائح، وسبب صدورها.

تابع تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}

(٢) تعداد قبائح التّصرّفات أمام النِّعم من الآية (٦٠) إلى الآية (٧٤)

تابع مدارسة الآيات (٦٧_٧٤): نموذج من نماذج الاستخفاف بأمر الله: فوائد من قصّة البقرة:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٦٩) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[1].

{أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}: إذًا فهموا أنّهم سيأتون ببقرة، ويذبحونها، ويأخذون جزءًا منها، يضربون به الميّت؛ فيحيي الميّت، ويذكر من القاتل. وهذا خاصّ بهم، بهذه الحالة؛ دليل زائد على نبوّة موسى -عليه السّلام- ودليل زائد على قدرة الله. فهم قوم كانوا بعد كلّ فترة يخرجون فيها من الشّرك؛ تأتيهم آيات فيها زيادة دلالة على قدرة الله، وعلى التّوحيد.

ما الّذي كان مطلوبًا منهم؟ أن يذبحوا بقرة - فتموت البقرة طبعًا — فيأخذوا الجزء الميّت منها، ويضربوا به الميّت؛ فيحيي الميّت.

هم الآن يفكرون: كيف آخذ جزءًا ميّتًا، من بقرة ميّتة؛ فأضرب بها ميّتًا؛ فيحيى! فقالوا: (من المؤكّد أنّ هذه البقرة لها صفة خاصّة! مختلفة!) بحيث يكون فيها سرّ يجعلها إذَا ماتت؛ يأخذون منها جزءًا، يضربون به الميّت؛ فيحيى.

---

(١) سورة البقرة: ٦٧_٧٤.

وسنرجع مرّة أخرى، لهذا النّوع من الغباء النّاتج عن مخالطة الشّرك؛ الآن أصبح عندنا مشكلة أكبر من كونهم فقط أرادوا أن يتفلّتوا من الأمر –لأنّنا دائما حين نقرأ هذه القصّة العظيمة، نقول: (لماذا كلّ فترة يطرحون الأسئلة؟ يُريدون أن يتفلّتوا من ماذا؟ من الامتثال للأمر!)– أصبحت عندنا قضيّة أخرى، وتُعتبر أكبر من قضيّة تفلّتم من الأمر، وعدم استسلامهم! فهي أيضًا تدلّ على عدم الاستسلام، أنّهم لمّا قال لهم رسولهم: (اذبحوا بقرة!) ظنُّوا أنّ السّرّ في البقرة! وأنّ القدرة في البقرة! وأنّها ليست عطيّة من ربّ العالمين!

فبَدَلًا من أن تكون دليلًا على التّوحيد، قلبوها، وجعلوها دليلًا على الشّرك!

ظنُّوا أنّ البقرة فيها سرّ يخصّها؛ ولذلك أُريد ذبحها؛ بينما هي أصلًا كانت دليلًا على التّوحيد، وقدرة الله،

أنت الآن تصوّري جيّدًا: **أين التّوحيد في الموقف؟ أن يأتوا بالسّبب الميّت – فبإذن الله – تأتي الحياة.**

الآن البقرة ميّتة وجزء منها سيكون ميّتًا وسيضربون الميّت، فإذًا هذا كلّه ميّت؛ وحين يضربون به الميّت؛ يحييه الله! وهكذا الأسباب كلّها: فكلّ الأسباب بنفس الطّريقة: فالسّبب بنفسه ميّت؛ لكنّ الله –عزّ وجلّ– يحييه.

مثل: بذرة الفاكهة الميّتة، ضعيها في التّراب الميّت، وينزل عليه الماء الميّت. ثمّ بعد ذلك؛ تنشقّ وتخرج: كلّ هذا من آثار قدرة الله؛ القدرة على إحياء الميّت؛ ولذلك تسمعين في القرآن دائما هذا الأمر: {يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ}، {يُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ}[1].

فكان الواجب: أن تكون البقرة دليلًا زائدًا على قدرة الله، لكنّهم قلبوها، وجعلوها دليلًا على الشّرك: وهذا هو الغباء الحقيقيّ.

انظري: لو ما فهمت يا ابنتي مسألة رياضيّة؛ فأنت لست غَبِيّة! **لكن لو ما فهمت التّوحيد؛ يصير هذا هو الغباء! لأنّ التّوحيد، أدلّته تُلامس الفطرة مُباشرة؛ فبمجرّد أنّك تفكّرين بطريقة صحيحة، ستصلين إلى نتيجة صحيحة.** لكن فلسفة، ورياضيّات، وكلّ ما يدخل فيها؛ فإنّ هذه فلسفة ممكن أن تدركيها، وممكن أن لا تدركيها. **وأنت في القبر لن تُسألي عن هذا! أنت ستُسألين على ما مُكّنت به،**

(١) سورة الرّوم: ١٩.

بفطرتك السّويّة، وهو التّوحيد. هذا ليس معناه أنّكم لا تدرسون الرّياضيّات؛ **هذا معناه**: أنّكم حدِّدوا معيار الذّكاء – **مشكلة اختلاط معيار الذّكاء** – أنّه: من هو الذّكي؟ ومن هو الغبيّ؟

فجعلوا الّذي يفهم الفلسفات، هو: الذّكي! والّذي يفهم الأشياء الّتي وُجِدت هنا من أجلها أن يفهمها: ليس له قيمة! وهذا كلُّه من فعل الشّيطان: {ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ}(١).

إذًا: سألوا عن حالها؛ فقالوا: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}؟ لأنّهم تعجّبوا من بقرة مَيِّتة، يُضرب ببعضها مَيِّتًا؛ فيحيا. فظنُّوا أنّ هذه البقرة العجيبة، الخارجة عمّا عليه البقر: أنّ القدرة فيها، أنّها تُحيي الموتى، وليست القدرة في الله وحده، صفة لله وحده.

فانتقلوا من كونها دليل للتّوحيد، عكسوا المسألة تمامًا، وجعلوها دليلًا على الشّرك: وهذا منطلق أسئلتهم الآن؛ أنّه: (ما هذه البقرة؟! ماذا تكون هذه البقرة الّتي سنذبحها؛ فنعرف من القاتل؟!)؛ لأجل ذلك قالوا: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}؟

اقرئي لنا جواب موسى الّذي كان تبليغًا عن الله:

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}.

لاحظوا: أنّ موسى –عليه السّلام– استجاب لهم؛ من أجل أن يدفعهم للامتثال، وهذا من حرصه – صلّى الله عليه وسلّم– على أمّته في أن لا يعصوا الله؛ فيغضب الله عليهم. فسأل الله، فنقل الوحي.

انظري كيف هي الدّقّة في نقل الوحي: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ} يعني هو الآن لماذا لم يقل لهم مباشرة: {لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ}؟ لأنّهم لمّا قال لهم: (اذبحوا بقرة)؛ مباشرةً هاجموه، وقالوا له: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}.

فحين يكون هذا حال الإنسان؛ لابدّ عندما تكلّمينه في المرّة القادمة، تكونين في حالة من التّوَقّي، تَتَوَقّيْ أن يعيد مرّة أخرى عليك هذا التّفكير. **فانظري كيف هي الدقّة**: قال لهم: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ}، يقصد أنّ الله يقول: {إِنَّهَا بَقَرَةٌ}: أوّل شيء: تأكيدًا: {إِنَّهَا بَقَرَةٌ} وليست شيئًا آخر. ومن جهة السّنّ: {لَا فَارِضٌ} كبيرة جدّا، مسنّة. {وَلَا بِكْرٌ} صغيرة جدّا؛ فإذًا كيف ستكون؟ {عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ} تفهمين منها أنّ: {عَوَانٌ} أي: وسط.

(١) سورة المجادلة: ١٩.

وبعد ذلك يأتي إلى المطلوب: {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} لأجل أن يؤكّد عليهم أنّ الله يأمرهم، أنّه حَالٍ من هذه المسألة، أنّه ليس هو الطّالب؛ لأنّهم قوم يظنُّون أنّ الّذي يخاطبهم يستهزئ بهم؛ هم مُستهزؤون ويظنّون أنّ أيّ كلام يُقال لهم؛ إنّما هو من الاستهزاء! ولا يضيّع الإنسان إلّا هذه الحال!

ولذَا في أواخر المؤمنون لمّا قُضي الأمر، فريق في الجنّة وفريق في السّعير، أراد الفريق الّذي في السّعير أن يخرج؛ فصاروا يكلّموا ربّ العالمين، فردّ الله -عزّ وجلّ- عليهم ردّا يبيّن لنا، نحن نقرؤه ونفكّر فيه؛ لأجل أن نمشي في الطّريق المستقيم: {ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ}[١] هل تلاحظون: {تَضۡحَكُونَ}؟! **من كثرة استهزائهم بالمستقيمين، نَسُوا ما هو المطلوب منهم! فصار كلّ تفكيرهم أن يستهزؤوا بالحقّ! هذا بالضّبط حال بني إسرائيل، والّذي يمشي على طريقهم!**

تصوّري: تُلْقَى عليك أوامر، ويُقال لك: (ورائك خطر! ورائك خطر!)، وأنت تعتقدين أنّه يستهزئ! وبعد ذلك يكرّر عليك: (ورائك خطر!)، وأنت تعتقدين أنّه يستهزئ؛ ماذا ستكون النّتيجة في النّهاية؟ أن يقع عليك الخطر، وأنت مازلت تظنّين أنّه يستهزئ بك؛ لأنّك بنفس هذه الطّريقة تُفكّرين بنفس طريقة المُستهزئ!

{فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي}: {فَرِيقٞ}، أناس كثيرون، يستغفرون، ويتوبون؛ وهؤلاء غارقون في الشّهوات، ويضحكون عليهم لأنّهم يحاولون أن يستقيموا من أجل أن يصلوا إلى النّجاة! لماذا يضحكون عليهم؟ لأنّهم مُصدّقون أنّه سيكون. فلذلك يوم القيامة؛ يُنبّهُون إلى هذه الحال، **يعني** يُنبّهُون يوم القيامة إلى كلّ أعمالهم الّتي مبدأها: أنّهم انشغلوا بالمستقيمين على دين الله، حتّى أنسوهم ذكر الله، حتّى أنسوهم أنفسهم. أنّهم اهتمّوا بهم، وكانوا يجعلون من الاستقامة والدّين مائدة، منها يضحكون، حولها يجتمعون، وعليها يضحكون! فكانت النّتيجة: {ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[٢].

على كلّ حال، عندما تقرئين في القرآن عن: **الاستهزاء؛ دائمًا تذكّري موقف بني إسرائيل**، وكيف أنّ رسولهم ينبّههم: أنّ المسألة انتقلت من كونكم تريدون أن تعرفوا مَن صاحب الدّم؟ إلى كونه أمر، ويجب

(١) سورة المؤمنون: ١٠٧_١١٠.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٠.

عليكم أن تمتثلوا له! لذلك: {فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ} **فالأمر ليس لعبًا! مادام ربّنا أمرنا؛ يجب علينا أن نتعامل مع الأمر بالتّعظيم! فهنا المشكلة.**

الآن يؤذّن الأذان، ولا تجدين في نفسك تعظيمًا للأذان، ومن ثمّ الاستجابة للأوامر! **معناه: هناك نقص في الإيمان! لأنّ الدّين وشرائعه، لابدّ أن يكون عند أهل الدّين معظّمًا.**

أنا سأفترض أنّ المرء الآن في حالة كسل، لا يقدر أن يردّد مع الأذان –مع أنّه لا يليق– فالكسل غير عدم التّعظيم؛ لأنّ الكسل سيجعلك تسكتين، لا تتعمّدين أنّ تأتي بقصّة وتتكلّمين فيها! لكن عدم التّعظيم سيجعلك وقت الأذان بدلًا من أن تعظّمي الأذان وهو عِبادة، تتكلّمين في المهمّ وغير المهمّ، وأنتنّ تعرفن بأنّ هناك كلامًا غير ضروري وقت الآذان! فهذا إشارة إلى عدم تعظيم، وما هذا إلّا حال المستهزئين: أذّن الأذان، أم لم يؤذّن؛ فالاثنان سواء عنده! إذًا فقدنا عبادة التّعظيم!

ولا تقولي: (ترديد الأذان سُنّة، يُثاب فاعلها، ولا يُعاقب تاركها!): هذا الكلام، حين نقول: (عليك قضاؤه، أو يلزمك أن تقضي التّرديد مع الأذان)، لكن هذه عبادة يجب تعظيمها، وتعظيمها أن تردّدي معها، أو على الأقلّ تسكتي!

فهذا نموذج، وعيشي كلّ النّماذج، بنفس الطّريقة: تعظيم وقت الصّلاة، حين يدخل وقت الصّلاة، أنت لابدّ أن تشعري أنّه: حقّ الله، يُطالبك به.

فالنّاس يعيشون في الدّنيا تحت عُنْوَانَيْنِ ما لهم ثالث:

١) مستهزؤن.

٢) جادّون.

ليس هناك واحد في الوسط! إمّا مُستهزئ، مُستهتر، وإمّا جادّ؛ ولذلك قال تعالى: {خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ}[١] وليس باللّعب! الدّنيا كلّها أيّام، وأنفاس، والإنسان ما يصنع لنفسه مجدًا في السّماء؛ إلّا حين يستفيد من حياته كما ينبغي والبركة من الله.

لكن سنبقى نقول: **ماذا فعلنا من أجل أن يكون لنا مكانة عند ربّ العالمين؟!**

---

(١) سورة مريم: ١٢.

وكونوا حذرين من هؤلاء القوم الّذين غضب الله عليهم في نهاية الأمر! حياتهم مبنيّة على الاستهزاء بالدِّين، والاستهزاء بالرّسول، والمشكلة أنّهم غارقون في النِّعم.

على كلّ حال؛ قال لهم: {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}.

اقرئي الآية (٦٩):

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}.

هذا سؤالهم الثّاني؛ المبني على نفس التّفكير أنّ البقرة لها سرّ خاصّ؛ فيريدوا أن يميّزوا، كأنّهم يقولون: (بين الفارض البكر، يكون هناك الكثير؛ بيّن لنا لونها، ربّما استطعنا أن نميّز!).

هل تلاحظون كيف هي دوائر؟!

موسى –عليه السّلام– قال لهم: (بقرة)؛ إذًا هو يقصد أيّ واحدة من كلّ البقر ولو كانوا نزلوا إلى سوق البقر؛ لوجدوا أيّ واحدة، واشتروها، وأجزأت، لكنهم يريدون مجموعة جزئيّة، من مجموعة البقر الكبيرة، لها مواصفات خاصّة، وبذلك عقّدوا على أنفسهم المسألة!

سنقول:

على الفهم الأوّل: إنّ هذا تكاسل عن الاستسلام.

وعلى الفهم الثّاني: أنّه ضعف في توحيدهم؛ لأنّهم يظنّون أنّ لها ميزة.

فأسئلتهم هذه تُفهم على طريقتين: ضعف الاستسلام أو أنّ السّرّ في البقرة؛ فهناك ضعف في التّوحيد لديهم.

فإذًا أتوا بالمجموعة الجزئيّة الصّفراء، المتوسّطة السّن، اقرئي الآية (٧٠):

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}.

دعونا نفكّر في كلامهم: ونبدأ من عند أنّهم يعتقدون أنّ البقرة فيها سرّ؛ ولذلك طلبوا تعريفها، لمّا وصلوا إلى لونها، وجدوا أنّ كثيرا من البقر، هذا لونه! فكأنّهم وقعوا في التّشديد، وشعروا أنّهم شدّدوا على أنفسهم؛ فقالوا: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ} لمّا قالوا هذا القول، معناها أنّهم شعروا أنّ الأمر فيه تشدُّد، وأنّه سيتعسّر عليهم؛ فشعروا بتشدّدهم؛ ولذلك علّقوا الهداية بمشيئة الله! فكأنّهم أظهروا صدقهم في القيام بالعمل.وحصل لهم نوع من الاستسلام.

فوصف لهم الرّسول موسى عليه السّلام: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ} ما صفتها؟ {لَا ذَلُولٌ}، {لَا} هنا

"لا النّافية"، تنفي أن تكون البقرة: {ذَلُولٌ} أي: أن تكون مكرّمة عند أهلها، ليست لإثارة الأرض {لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ} لأنّ هذه الأعمال، هي عادة الّتي يقوم بها البقر، لكن هي حصل لها نفي الطّرفين فأصبحت مكرّمة، من البقر المكرّم.

ثمّ قال: {لَا شِيَةَ} أي: لا عيب.

الشِّيَةُ: هو كلّ لون يُخالف مُعظم لون البقرة، أو الفرس، يعني كأنّه يكون فيها لونان. {لَّا شِيَةَ فِيهَا} يعني ليس فيها لون مُخَالف.

{قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ} وماذا كنتم ترونه من البداية؟! فهذا من الاستهزاء، الاستهتار.

{فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}: الله –عزّ وجلّ– ينفي عنهم الاستسلام.

سيأتي الآن أصل القصّة:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(١).

نحن أوّل ما بدأنا القصّة، اتّفقنا: لماذا أُخّر سبب القصّة عن القصّة؟ لأنّ هذه ليست الغاية! **الغاية: موقفهم من الأمر، وليست الغاية سبب هذا الأمر.**

بدأت الغاية من الآية (٦٧) إلى الآية (٧١) **هذه هي: الغاية من هذه القصّة؛ أنّهم: هذا موقفهم من الأمر.**

(١) سورة البقرة: ٧٢_٧٣.

كأنّه يأتي السّؤال: لماذا أتى الخبر عن أصل القصّة؟ سيتبيّن لنا:

سنبدأ أوّلا بالآية (٧٢)، الله –عزّ وجلّ– قال: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّارَأْتُمْ فِيهَا} ما معنى {فَادّارَأْتُمْ}؟

تَدَافَعْتم. يعني كلّ واحد يقول: (أنت القاتل! أنت القاتل!) فضاع الدم؛ **فالله يجيب عليهم**: {وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} وهذه قاعدة؛ وهذه من الكلمات الّتي من المفترض أن نتداولها دائمًا؛ أنّ: {اللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} عندما تأتي في حالة، تجدين فيها أنّ من أمامك لا يقول الحقّ؛ ويتهرّب؛ فنقول الجملة القرآنيّة: {وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} ففي كلّ حالة مثل هذه الحالة لابدّ أن نعرف بأنّ {اللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}، مهما اشتدّ كتمانكم!

ولاحظوا: {تَكْتُمُونَ} يعني هذا الأمر فيه تفعيل، بمعنى: أنّك تُحاول أن تَتَكَتّم على الأمر، لكن الله بقدرته، يُخرج ما يكتمه النّاس، بصورة أو بأخرى، بسبب أو بآخر.

الآن الآية (٧٢) فيها أصل القصّة، أنّ: {اللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}.

{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا} حلّلوا لي هذه الكلمة الّتي هي: {اضْرِبُوهُ}: أخبروني أين الفعل؟ أين الفاعل؟ وأين المفعول به؟ نحن نريد أن نحلّلها:

أوّلًا: أين الفعل؟ **"اضرب"** فعل أمر.

ثانيًا: أين الفاعل؟ **"الواو"**.

ضعوا مكان "الواو" من هو الفاعل؟ اضرب يا بني إسرائيل.

ثالثًا: أين المفعول به؟ **"الهاء"** العائدة على الميّت.

فإذًا {اضْرِبُوهُ} هناك سرّ فيها: فالآن الفاعل والمفعول به مع بعضهما، ثمّ أتى ذكر البقرة {بِبَعْضِهَا}. الآن ما هو المطلوب؟ اضربوا يا بني إسرائيل الميّت {بِبَعْضِهَا}.

إذًا عليكم أن تحلّلوا الجمل، **ما معنى التّحليل؟ عندما تقولين: (هذا الحرف هو الفاعل)، (هذا الحرف هو المفعول به)، بدّلي الحرف بالاسم الظّاهر؛ لأجل أن تكون الجملة صحيحة.**

ستلاحظون أمرين:

١. لم يُحَدِّدِ الّذي يضرب؛ وإنّما هو منهم.

٢. و {بِبَعْضِهَا}: أيّ بعض منها، أيّ جزء منها، الظّاهر أنّه ما حُدِّدَ الجزء الّذي يُضرب به؛ لأجل أن يذهب اعتقادهم؛ فهم يعتقدون أنّها هي الّتي فيها السّرّ! – الّذي يظهر والله أعلم – أنّه لو تمّ تحديده؛ سيزيد الأمر في ذهنهم.

{كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ} إشارة إلى أنّ القضيّة: أنّ الله يحيي الموتى {كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ} من الأشياء المِيّتة، فالتّركيز على قدرة الله؛ وليست البقرة الّتي فيها السّرّ؛ فهذا هو المقصود.

عندما تريدين أن تصفي الله في القصّة، تقولين: {وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}، وتصفيه كذلك أنّه: {كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ}، لكن القصّة كلّها دائرة حول هذه الجملة: {كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ}

ركّزوا معي في هذه النّقطة لأنّها تُعتبر من أهمّ النّقاط في كلّ السّياق: عندما يقول أحد: (أنا ما عندي شاهد على الإيمان؛ يجعلني أقول أنّ: هناك ربّ في السّماء، وأنّه كامل الصّفات!)؛ أنت ماذا ستقولين لنفسك؟ اتركيه هو، فكّري في نفسك:

هل يمكن أن تتصوّري أنّ النّاس تمرّ عليهم الأيّام واللّيالي، ولا يريهم الله آياته؟!

لا! لابدّ أن تعرفي أنّ أحد أفعال الله الثابتة أنّه يري الخلق آياته في الخلق، والتّدبير، والرّزق؛ حتّى يؤمنوا؛ فالآيات لا يُريها للخلق فقط على أيدي الرّسل؛ وإنّما دائمًا وأبدًا، يُرِي الله –عزّ وجلّ– الخلق الآيات.

وهنا ترد شبهة: أن يقول أحد: (ما ذنب الّذين في مجاهيل قارة أفريقيا، أو الّذي في أقاصي سيبيريا، أو في أواسط آسيا، فهو لم يعرف الإيمان، ومن ثمّ لا يؤمن؟!)

نحن نتصوّر أنّنا مؤمنون؛ لأنّنا فتحنا أعيننا، وجدنا أنفسنا في دولة مسلمة – الحمد لله، نسأل الله أن يقيمها، ويبارك فيها، ويحفظها، ويدفع عنها أعداءها، ويمكر بالماكرين، ويدفع عنّا شرّ الأشرار، اللّهمّ آمين–: تصوّروا أنّه من أجل هذا السّبب؛ فيكون ما ذنب الّذي يكفر، ويكون في أواسط آسيا، أو أفريقيا، إلخ...هل يكفر، ويكون عنده عذر للكفر؟ لا، قال تعالى: {وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ}، هنا في سياق سورة البقرة: المعنى خاصّ، وفي سورة غافر، وغيرها: المعنى عامّ. أنّ من أفعال الله أنّه يُري خلقه الآيات، الدّلائل الدّالّة على التّوحيد. المفروض أنّهم إذا رأوا الآيات يعقلوا: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فيعرفوا الصّواب من الخطأ، ويصير عندهم عقل رُشدٍ، هنا يُقصد بقوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} عقل الرّشد، وليس عقل الإدراك، يعني عاقلًا ليس مجنونًا؛ وإنّما المقصود عقل الرّشد.

هل هذا يعني أنّه ليس هناك داعٍ للرّسالة؟ يريهم الله آياته وانتهي الأمر؟! لا! وإنّما بداية المسألة أن ترى الآيات، ثمّ إذَا صدقت، وعقلت؛ أنّه لا يمكن أن لا تكون لك قيمة في الحياة؛ إلّا أن تأكل، وتشرب، وتنام، وتأكل، وتشرب، وتنام، فقط وانتهي الأمر؟!

إذَا فهمت هذا: أنّه لا يمكن أن تكون هذه هي قيمتك! ستطلب صادقًا أن يدلّك الله على مراضيه، في هذا الوقت تأتي آيات الله العظيمة؛ في أنّ يُرشد النّاس إلى الإسلام، وهذا الّذي تسمعينه من قصص، وحكايات النّاس، الّذين أسلموا في أقاصي الأرض؛ فإنّ في أقاصي الأرض هناك مسلمون.

ابتدأت المسألة برؤية الآيات، وبالصّدق في إرادة الحقّ؛ فالله –عزّ وجلّ– يدلّهم، ويصل بالحقّ إلى حدّهم.

أمّا الّذين يقع في قلبوهم أنّ الله يظلم الخلق –تعالى الله عمّا يقولون– يظلم الخلق عندما يكلّفهم، وهم لم يأتهم رسولًا، كيف سيحاسبون يوم القيامة؟ بماذا ستجيبين عليهم؟ إنّ الله يُرِي خلقه الآيات؛ فإذَا انتفعوا منها، بأن أتاهم عقل الرّشد يدلّهم على مراضيه.

وإذا سأل: كيف يدلّهم على مراضيه؟

نسأله: هل تعرف كيف يرزق ربّنا كلّ النّاس الطّعام في كلّ الأرض؟ لا يعرف! مستحيل أن يدرك كيف يصل الرّزق إلى هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء! فالّذي يرزقهم ما يقيم به البدن، يرزقهم ما يدلّهم على رضا ربّ العالمين؛ لا تعرف كيف يدبّر الله لهم التَّدَابِير؛ لأجل أن يعرفوا الدّين والصّلاح.

إذًا كيف ننفي شُبهة: البُعد عن مصدر الإيمان، والرّسالة، يسوّغ عدم الإيمان؟

أوّلًا: إنّ الله من أفعاله أنّه يُري خلقه آياته الدّالّة على: (ربوبيّته وألوهيّته)، ليست فقط الرّبوبيّة؛ أنّ له أفعالا، كذلك استحقاقه للألوهيّة، يريهم آياته على هذا وعلى هذا.

ثانيًا: إن صدقوا؛ أرشدهم بقدرته، على تفاصيل رضاه؛ الّذي جاءت بها الرّسل.

معنى ذلك أنّه قد يكون الشّخص في آخر الدّنيا، والمسلمون أبعد ما يكونون عنه، لكنّه يكون صادقًا؛ فيدبّر ربّنا له التّدابير؛ لكي يسلم؛ **فالثّانية مبنيّة على الأولى، فعليه أن يرى الآيات ويصدّق بيها، والله بعد ذلك كما رزقه ما يقوم به بدنه، يرزقه ما يقوم به قلبه.**

سنسأل هنا: {يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ}: هل فقط يري الآيات لمن يكونون فسّاقًا وكفّارًا، والمؤمنون لا يريهم؟ لا، حتّى المؤمنون؛ فإنّه يريهم آياته.

ما هي المصلحة عند المؤمنين؟ ليزدادوا إيمانًا. لكن نحن لا نريد الإجابة كلامًا محفوظًا، الآن

عندما تكونين في ضائقة؛ فتدعي ربّنا من قلبك وبعد ذلك يأتيك الفرج، ما الّذي زاد إيمانك الآن فيه؟

اليقين، بأنّ الله سميع. لابدّ أن تكون هناك صفة، حصل فيها زيادة الثّقة، وليس فقط إجمالًا يزيد الإيمان؛ فأنت ستقولين: (أنا الآن صرت أكثر يقينًا: أنّ ربّنا سميع، ربّنا قريب، ربّنا مُجيب) فأنت ستحدّدين الزّاوية، الّتي تحصل فيها الزّيادة، من أجل أن تذكّري نفسك في المرّة القادمة عندما تدعين، ويُحبس عنك مقصودك؛ وتقولي: (لا! لكنّه في ذاكرتي، أنّني كنت في ضائقة ودعوت ربّنا؛ فأعطاني، فأنا لديّ يقين: أنّه يسمعني؛ لكن أكيد هناك حكمة)؛ وفي المرّة القادمة: ترين أنّ تدبير الله أحسن من تدبيرك؛ وأنّك كنت متعجّلة، ثمّ بعد ذلك جاءك ما تريدين في الوقت المناسب، بالطّريقة المناسبة: فتزيدي إيمانًا في علمك بأنّ ربّنا سميع، وقريب، ومجيب، وحكيم؛ ثمّ بعد ذلك يحصل الموقف الّذي بعده، وتزيدين معرفة بالله. وهذه هي حياة المؤمن؛ أنّه في كلّ يوم يعرف عن الله وعن أسمائه وصفاته، ويُريه الله الآيات، وهو يتعرّف عليه أكثر؛ حتى إذا مات، ودخل قبره، وسُئل: من ربّك؟ يجيب وهو على يقين لأنّ هذا الرّجل الّذي يُسأل: (مَنْ رَبُّكَ؟ ...مَا دِينُكَ؟ ...مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ ...) فيجيب؛ تسأله الملائكة: (وَمَا عِلْمُكَ؟) يعني ماذا كنت تفعل لكي تخرج ثابتًا بهذه الطّريقة؟ لأنّه موقف صعب جدًّا: ظلمة، وحدة، أشخاص لا تعرفهم، ويأتون على صورة لا تتصوّرها! وتثبت، يثبّتك الله.

فتسأل الملائكة: (وَمَا عِلْمُكَ؟) يعني في الدّنيا: ماذا صنعت؟ ماذا فعلت؟ فيجيب هذا: (قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ)[1] يعني يحصل الإيمان والتّصديق.

الإيمان: هذا اليقين؛ والتّصديق: هو القوّة النّاتجة عن الإيمان، الّتي تجعلك تعيش الحياة تحت ظلّ أسمائه وصفاته، وأنت هنا لم تعش إلّا من أجل أن تعرف الله، في كلّ خطوة من خطواتك، بمعنى: الممارسات اليومية؛ إذَا تبصّرت جيّدًا ستجدين فيها أثر هذا الفعل من الله: أنّه يُريك آياته، بمعنى: اليوم الّذي تعتمدين فيه على نفسك؛ فإنّك تعرفين ما الّذي سيحصل لك! واليوم الّذي تتوكّلين فيه على الله، وتسلّمين أمرك لله؛ فإنّه يدبّرك أحسن تدبير؛ فهذه شواهد! اسمها: {وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ}.

(١) أخرجه أحمد (١٨٢٥٢).

فأنت لابدّ أن تعرفي أنّ الله –عزّ وجلّ– له أسماء وصفات عظيمة، كثيرة، قال رسول الله: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ)[1]؛ إذًا أسماؤه كثيرة، ونحن لم نعرف منها إلّا جزءًا يسيرًا جدًّا! حتّى أنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في حديث الشّفاعة، يقول أنّه يسجد عند العرش، فتُفتح عليه مَحامد لا يحسنها الآن، قال: (فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا) [2] يعني يوم القيامة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– سيعرف عن ربّنا شيئًا، هو لا يعرفه هنا في الدّنيا، من أسمائه وصفاته.

الآن الأسماء والصّفات الّتي تعرفها هنا في الدّنيا، ما هو المطلوب منك تجاهها؟ ما علّمك الله هذا الجزء فقط من أسمائه وصفاته العظيمة؛ إلّا لأجل أن تعيش في الدّنيا تحت هذه الأسماء: (هنا: ستر الله، هنا: جبر الله، هنا: رزق الله، هنا: قرب الله، هنا: الله مجيب، هنا: الله سميع، هنا: الله بصير)؛ بحيث أنّك في يومك وليلتك تزداد معرفة له، ويقينًا بذلك وهذا هو: الطّموح الحقيقي! المفترض أن يكون نهاية طموح الطّامحين: أنّهم يبيتون ليلتهم وقد ازدادوا إيمانًا، ومعرفة بربّ العالمين؛ بحيث أنّهم يدخلون قبورهم، فتؤنسهم هذه المعرفة.

وربّ العالمين، كما تفضّل علينا بأبدانٍ صحيحة، وعقول صحيحة؛ تفضّل علينا بأنّه يُرينا آياته: هذا فعل من أفعال الله، لا ينبغي أن يغيب عنكم أبدًا. ولابدّ أنّك في كلّ مرّة تفسّرين به المواقف الّتي تحصل لك: بأنّ الله يُرينا آياته، يُرينا قوّته، يُرينا تدبيره، يُرينا إحسانه، يُرينا –سبحانه وتعالى– عطيّته العظيمة وهي: معرفته سبحانه وتعالى.

على كلّ حال، قال الله عزّ وجلّ: {كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ} هنا في السّياق: {وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ}: في سياق الكلام عن بني إسرائيل، لكن اتّفقنا بأنّ هذه الآية مكرّرة في كتاب الله، وأقربها لكم – لأجل أن تتصوّروها – أتت في سياق سورة غافر.

بعد كلّ هذا النّقاش ماذا تتوقّعون؟ ماذا فعل بنو إسرائيل؟

دعونا، نقرأ الآيات:

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣١٨).

يقول الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}(١).

الآن، كان متوقّعًا بعد كلّ هذه الآيات البيّنات: أن تلين قلوبهم؛ لكن الّذي حصل يُعتبر بمثابة المفاجأة، أنّه اشتدّت قلوبهم قسوة.

لمّا حصل منهم هذا، كانت العقوبة: أن يزيدهم الله قسوة: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ} ثمّ بُيّن أنّ الحجارة ممكن أن تلين! في مقابل أنّ قلوبهم لا تلين.

وهُدّدوا في نهاية السّياق: {وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} هذا سّبب أن يعاقبهم الله بزيادة قلوبهم قسوة. فهم ابتدؤوا بالغفلة عن آيات الله، وتجاهلها؛ فكانت النتيجة: قسوة قلوبهم؛ عاقبهم الله بزيادة القسوة.

نكون هكذا انتهينا من كلّ هذه المرحلة؛ الّتي هي: ذكر سالفة اليهود.

الآن سيُذكر اليهود المعاصرين للبعثة المحمّديّة، فكلّ الّذي مضى كان في تاريخهم، الآن في الّذين كانوا مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

(١) سورة البقرة: ٧٤.

مدارسة القسم الثّاني من المقصد الثّاني

(٧٥_١٢١)

(ذكر اليهود المعاصرين للبعثة المحمّديّة وذكر ٢٠ سببًا لقطع الطّمع في إيمانهم)

مدخل إلى مدارسة القسم الثّاني من المقصد الثّاني (٧٥_١٢١)

مدارسة السّبب الأوّل لقطع الطّمع في إيمانهم (٧٥ _ ٧٩)

مدارسة السّبب الثّاني لقطع الطّمع في إيمانهم (٨٠ _ ٨٢)

مدخل إلى مدارسة القسم الثّاني من المقصد الثّاني (٧٥_١٢١)

يقول الله عزّ وجلّ: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ} من الّذي يطمع؟ المؤمنون الّذين في عهد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يطمعون فيمن؟ في اليهود المعاصرين.

يعني أفتطمعون أيّها المؤمنون بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بعد أن علمتم تفاصيل شؤون أسلافهم المُيَئِّسَةِ [1] من إيمانهم، فهؤلاء اليهود الّذين بين أَظْهُرِكُمْ، مماثلون في الأخلاق الذّميمة لأسلافهم.

سنبدأ مدارسة أسباب قطع طمع المؤمنين في إيمان اليهود المعاصرين، يعني بعد هذا كلّه لا تتوقّع أنّ أخلاقهم ستكون أحسن! فالآن ستأتينا الأخبار عن المعاصرين، ومشابهتهم للسّابقين، سنجد عشرين سببًا؛ لقطع الطّمع.

مدارسة السّبب الأوّل لقطع الطّمع في إيمانهم (٧٥ _ ٧٩)

يقول الله عزّ وجلّ: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ}[2].

دعونا نرى حال علمائهم؛ الّذين هم: {فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} المقصود: أحبارهم، ماذا يفعلون؟ {يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} يعني يعرفون أنّه كلام الله، ثمّ هم بأنفسهم يحرّفونه! {مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}: فهذا كلّه بيان أنّ التّحريف لم يأتِ عن طريق الخطأ؛ إنّما أتى عمدًا! قصدوا التّحريف.

---

(١) شرح معنى مُيئِّس في معجم المعاني الجامع _ مُيئِّس: (اسم)، مُيئِّس: فاعل من يأّسَ، يأّسَ: (فعل)، يأّسَ صديقَه: أيأسه، أفقده الأملَ وجعله ييأس.

(٢) سورة البقرة: ٧٥ _ ٧٩.

الآن هذا هو **الوصف الأوّل**: أنّهم: {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ} وَ {يُحَرِّفُونَهُ}.

الوصف الثّاني: النّفاق: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ} **أي** {خَلَا} الكتابيّ إلى الكتابيّ، أو الحبْر إلى الحبْر: حبرٌ منافق، وحبرٌ ليس بمنافق من أحبارهم، يخلون إلى بعضهم؛ يقولون: {أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}: طبعًا الاثنان أسوأ من بعضهما؛ **يعني** المنافق سيّء، والثّاني الّذي يعتقد أنّه يستطيع أن يخفي الحقّ أسوأ منه؛ فكان الجواب لهؤلاء: {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}.

الوصف الثّالث: أنّ الفريق الثّاني من الأحبار: جاهلون بالله، ألم نقل: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ} هذا هو الجزء الثّاني من الأحبار الّذين ما نافقوا، ما هو وصفهم؟ جاهلون؛ لأنّ ربّنا يقول: {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}.

فإذن علماؤهم لهم ثلاث صفات:

الصّفة الأولى: أنّهم يحرّفون الكتاب بعدما سمعوه.

والصّفة الثّانية: النّفاق.

والصّفة الثّالثة: الّتي تقابل النّفاق: أنّهم جاهلون بالله: {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}.

فإذً هؤلاء علماؤهم، نأتي الآن لعوامّهم، وماذا يُتوقّع من قوم هؤلاء علماؤهم! وهذا وصف عوامّهم:

{أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}، ما معنى {أُمِّيُّونَ}؟ جاهلون، ولكن ليس جهلًا بالمعنى الّذي تتصوّريه: أنّه لا يعرف يقرأ أو يكتب، لا! الجهل هنا بمعنى: عدم القدرة على فهم المعاني، ولا يعني (عدم القدرة) بأنّه ليس لديه القدرة؛ وإنّما عدم الاجتهاد لفهم المعاني {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ} يعني إلّا قراءة {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} يعني ما هي صفة الأمّيّين؟ جُهّال، **بمعنى**: أنّهم لا يجتهدوا في معرفة معاني الكتاب؛ لأنّهم لو عرفوا معاني الكتاب، سيخلعون علماءهم، ويذهبون للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لكن علماء منحرفون، ضالّون، وعوامّ جاهلون، لا يُعطون أنفسهم فرصة، لمعرفة ما يدلّهم عليه كتابهم؛ وهذا يشبه المشركين اليوم، في زماننا؛ يعني لو تريدين أن

تتكلّمي عن الرّوافض مثلا: – الرّوافض أقصد بهم هنا وبالذّات: الاثنا عشريّة – الّذين يُمثلون الطّائفة الموجودة في إيران وغيرها.

دعونا نَصِفُ علماءهم: علماؤهم عبارة عن تجّار، يردون الدنيا، ويشترون الدّنيا بالدّين! لأنّ هناك أموال تُضخّ، هناك خُمس؛ هذا الخُمس الّذي يسبّب لهم مشاكل كثيرة، بمعنى أنّهم يتكلّمون عن الخُمس أكثر ممّا يتكلّمون عن الزّكاة! يتسامحون في الزّكاة ولا يتسامحون في الخُمس! الخمس معناه: أنّ أيّ مال عندك، تقسمه على خمسة، وعلماؤهم، يأخذون الخُمس!

الشّاهد أنّ علماءهم هذه هي حالتهم، البقيّة الّتي تحتهم: جهّال. هل بمعنى أنّهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة؟ لا، يعرفون القراءة والكتابة، ويفهمون، ومتعلّمون، ومنهم كلّ المناصب الدّنيويّة: أطبّاء، مهندسون...إلخ، لكن لماذا لم يستطيعوا أن يخرجوا من تحتهم؟ لأنّهم ما اجتهدوا في العلم، ما اجتهدوا في أن يتعلّموا ما هو الحقّ، كُسالى في تعلّم الحقّ؛ فأصبحوا يأخذون عقيدتهم من هؤلاء، ويقلّدونهم! فإن قالوا لهم: (اذهبوا طوفوا حول القبور)! ذهبوا! (اذبحوا للقبر)! ذبحوا! (ادفعوا الخُمس)! دفعوا!

وهذا ليس في طائفة الرّوافض فقط! إنّما انظري الصّوفيّة! فالصّوفيّة يشبهونهم تمامًا! وغالبًا ما يقال بأنّ: الصّوفيّة هي الوجه الثّاني للرّفض: يطوفون حول القبور، ويحتفلون بالمولد عند القبر، يدفعون أموالهم، يفعلون ما لا يَرْضَ الله من الشّرك، يتبعون علماءهم! يعني ليس هناك أحبارهم، وإنّما علماؤهم مسلمون!

فهذه المسألة، هي نفسها تتكرّر؛ في كون أنّه: علماء ضالّون، وعوام جاهلون.

ليس هناك إلّا أن يُزيل الله هذا النّوع من العلماء؛ والعوام يجتهدون في طلب العلم، وفهمه.

ولذلك الله –عزّ وجلّ– قال: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}.

انتهينا من السّبب الأوّل: علماء ضالّون، وعوام جاهلون؛ وهذا لا يخصّهم فقط؛ إنّما هذه الصّورة نفسها، متكرّرة في العالم الإسلامي: أنّهم يجعلون الشّرك دينًا! والنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ما أتى إلّا للدّعوة إلى التّوحيد.

هل هذا لأنّ أدلّة التّوحيد خفيّة؟! أنتم الآن عندما تدرسون التّوحيد، من أين تدرسونه؟ تدرسونه بأدلّة من الكتاب والسّنّة.

هذه الأدلّة، ألم يقرؤوها؟ بلى، لماذا هذا ردّهم؟ لماذا يذهبون إلى مولد السّيّدة زينب؟! الحسين يذهبون إليه، عبد القادر الجيلاني في العراق يذهبون إليه! – إلى درجة – أنّ قبر هود في اليمن يحجّون إليه! وعندهم الوقفة! وعندهم يوم العيد! وعندهم يوم ١٢ ويوم ١٣! في شعبان يذهبون يحجّون إلى قبر هود! لماذا؟! ألم يقرؤوا الأدلّة في القرآن؟! قرؤوها لكنّهم لم يجتهدوا.

فإذًا، نحن عندنا طرفان:

علماء ضالّون، مستفيدون من هذه الحالة.

وعوام جاهلون، بمعنى: أنّهم ليسوا مجتهدون في معرفة الحقّ، ليس لأنّهم لا يقرؤون، ولا يكتبون، ولا يفهمون؛ وإنّما هم يعرفون لكنّهم ليس لديهم استعداد لكي يجتهدوا: {إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ}[1] فهذه هي القضيّة.

ويمكن لأنّ علماؤهم يخوّفونهم من معرفة الحقّ، أو يحصرون العلم عندهم وهذا يرجعنا لنفس القضيّة؛ أنّهم جاهلون، فالمشكلة: أنّ عوام أهل السّنّة، ألسنتهم طويلة على الحقّ! وعوام المبتدعة، ساكتون؛ كأنّهم على رؤوسهم الطّير!

وهذا ما هو إلّا من الشّيطان: يمدّ ألسنة أهل السّنّة على الحقّ، ويُسكت، ويُخرس، أهل البدع على الباطل. فإذًا انتهينا الآن من هذا السّبب؛ دعونا ننتقل إلى السّبب الثّاني:

مدارسة السّبب الثّاني لقطع الطّمع في إيمانهم (٨٠ _ ٨٢)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

إذًا ما هو السّبب الّذي يقطع طمعنا في أن يؤمنوا؟ قولهم: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً}.

(١) سورة الزّخرف: ٢٣.

المعنى كيف سيؤمنون لك يا محمّد؟! وهم يعتقدون في أنفسهم: أنّهم لن يدخلوا النّار إلّا أيامًا معدودة! يعني يقولون: (عمر الدّنيا ٧٠٠٠ سنة) - انظروا كيف زعمهم الآن! — (سيدخلون النّار عن كلّ ألف سنة، يومًا! فلن يكونوا في النّار إلّا سبعة أيّام مهما كان حالهم)!

فتصوّري حال أناس نّاس ضامنين الجنّة؛ عندما تقولين لهم: (تعالوا آمنوا، تعالوا أطيعوا!) هل سيأتونك؟! لا! فهم يرون أنفسهم أنّهم داخلون إلى الجنّة! فزعمهم بأنّ النّار لن تمسّهم {إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} منعهم من الإيمان.

إذًا هذا هو السّبب الثّاني الّذي يقطع الطّمع في أنّهم يؤمنون! وأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لو دعاهم سيأتون!

فهذه أسباب تجعل دعوة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ليست ذات أثر عندهم، ولا يفكّرون فيها؛ لأنّهم يرون: أنّهم لن يدخلوا النّار! فمن ثمّ فإنّهم لن يستجيبوا للدّعوة!

هل المسلمون يعيشون في شيء مثل هذا؟ نعم. في ماذا؟ ما هي الدّعوة؟ فهم لا يقولون نحن شعب الله المختار! لكن يقولون: (نحن موحّدون! ومن قال: لا إله إلّا الله دخل الجنة!).

فإذًا نفس القضيّة بالضّبط: فالّذي يأتي، يقول لك: (من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة) كأنّه يقول: ({لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً})!

لكنّ النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- هو من قال لك: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [١] ماذا ستقولين؟ لا إله إلّا الله، لها شروطها.

والنّبي أيضًا هو الّذي قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)؛ هو الّذي قال: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)[٢] صادقًا من قلبه، يعني هو الّذي ذكر لنا أنّ الّذي يقول: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ) بهذه الشّروط؛ يدخل الجنّة. فلا تأخذ الطّرف الّذي يعجبك، وتترك الحقائق!

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٧).

(٢) أخرجه البخاريّ (٩٩).

سنلاحظ: أنّه غالبًا؛ الأسباب الّتي قطعت الطّمع في إيمان اليهود، نَفْسَها متوفّرة في المسلمين!

ولأجل أن تعرفي، أنّه لمّا ذُكر بنو إسرائيل؛ فإنّ المقصود ليس أن تقرئي قراءة تاريخيّة! **يعني** هؤلاء جماعة حصل لهم، وذهبوا، وانتهوا! ليس هذا هو المقصود!

المقصود: [وأنت ماذا تعتقد؟] – هذا هو المهمّ! – ولذلك لابدّ أن نناقش: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} – إن شاء الله – إلى المرّة القادمة.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الثّامن: الخميس ٢٣ صفر ١٤٤٠ هـ

" تابع مدارسة المقصد الثّاني (٤٠_١٦٢)"

مراجعة السّبب الأوّل والثّاني من أسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود المعاصرين لبعثة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– (٧٤_٧٩)

وأمام كلّ صفة لابدّ أن نفكّر بهذه الطّريقة:

- نصف بني إسرائيل بها.
- ونتناقش فيها.
- وبعد ذلك نقول : ومظهر هذه الصّفة بالنّسبة لنا ماذا يكون؟

مقدّمة.

مراجعة السّبب الأوّل والثّاني من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٧٤_٧٩).

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله، نتدارس هذه السّورة المباركة على أهلها، النّافعة لهم في الدّنيا والآخرة، نسأل الله –عزّ وجلّ– أن نكون من أهل سورة البقرة وآل عمران، بل ممّن صاحب القرآن فنفعه في دنياه، وفي قبره، وعند لقاء ربّه، وعند تقاسم النّاس درجاتهم في جنّات النّعيم، اللّهمّ آمين.

بعدما انتقلنا من الكلام عن أسلاف بني إسرائيل، أتى الكلام عن اليهود الّذين عاصروا النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–.

كنّا قد وصلنا إلى الكلام عن أسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود، أخذنا سببين لقطع الطّمع في إيمان بني إسرائيل.

كان السّبب الأوّل: في قطع الطّمع في إيمان بني إسرائيل، كونهم يحرّفون كلام الله.

فهم قسمان: علماء، وعوامّ. ما هو موقف العلماء من الإيمان؟

مضلّلين؛ لأنّهم بأنفسهم كانوا: {يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ}(١).

والعوامّ: جُهّال وأمّيّون، أسارى للأماني، ما يجتهدون بأنفسهم لمعرفة الحقّ. فكانا هذان سببان لقطع الطّمع في إيمان بني إسرائيل.

الآية (٧٥) الّتي هي بداية **٢٠** سببًا لقطع الطّمع في بني إسرائيل، ظهرت حين عاصر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ١٠ سنين مدّة بقائه في المدينة مع اليهود، فكانوا ينتقلون من سبب إلى سبب يظهر منهم في فترة ويختفي، ويظهر السّبب الآخر؛ فعُرض في سورة البقرة الّتي هي مدنيّة، مجموع هذه الأسباب، جزء منها فكريّ وجزء منها عمليّ، سلوكيّ.

فالعمل الفكريّ سيبقى موجودًا طوال السّنين، وأمّا العمل السّلوكيّ فشيء يظهر منه وشيء يختفي، وسيتبيّن لنا – إن شاء الله – هذا الأمر.

---

(١) سورة البقرة: ٧٥.

لكن المهمّ أن تربطوها تاريخيّا لكي تتصوّروا: لماذا يُقطع الطّمع في إيمانهم؟

سنبدأ أوّلا نذكّر أنفسنا بالآية (٧٤) الّتي هي خاتمة السّياق السّابق. ماذا كان السّياق السّابق؟

ذكر أسلاف اليهود، ثمّ ذُكِرَ المعاصرون:

- ذُكر الأسلاف بالنّعم الّتي أعطاهم الله إيّاها، وبالبطر الّذي حصل منهم.
- بعد ذلك أتى كلام عن المعاصرين، **بعنوان:** أسباب قطع الطّمع في إيمانهم، ما هي الأسباب الّتي ظهرت منهم تقطع طمع الدّاعي فيهم.

ونحن نؤكّد: أنّ هذه الأسباب ظهرت في الجزء المدنيّ من حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

لكن المهمّ أن نفهم: أنّ الّذي يوجد فيه سبب من هذه الأسباب في أيّ زمان، وكان من أيّ جنس؛ أيضًا سيُقطع الطّمع في إيمانه، صحيح أنّ الكلام عن بني إسرائيل، وعن الزّمن الّذي عاصروا فيه النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأنّ هذه أسباب قطع الطّمع فيهم، لكن أيّ أحد فيه نفس الصّفات، سيُقطع الطّمع في إيمانه، **يعني مثله:** لا يستسلم، **مثله:** لا يقبل الحقّ، **هذا هو المقصود.**

وأمام كلّ صفة لابدّ أن نفكّر بهذه الطّريقة:

- نصف بني إسرائيل بها.
- ونتناقش فيها.
- ونسأل: ومظهر هذه الصّفة بالنّسبة لنا ماذا يكون؟

مراجعة السّبب الأوّل والثّاني من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٧٤_٧٩)

بسم الله، سنبدأ الآن من الآية (٧٤) الّتي هي إغلاق للنّقاش السّابق، الّذي هو الأسلاف، ونرى كيف أنّ الآية (٧٤) أغلقت الباب على الأسلاف، وفتحت الباب على المعاصرين.

ننظر كيف: أنّ الفعل، والضّمائر، هما اللّذان بيّنا لنا هذا الأمر:

يقول الله عزّ وجلّ: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}(١).

الفعل الأساسي في الآية؟ {قَسَتْ} متى قست؟ {مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ} من بعد حادثة البقرة، ما هي الّتي قست؟ القلوب. الضّمير المتّصل هنا، عائد على من؟ {ثُمَّ قَسَتْ} قلوب بني إسرائيل الّذين حصلت معهم حادثة البقرة، أم الّذين من بعدهم؟

انظري الآية الّتي قبلها: {فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ}(٢) الكلام عامّ الآن، ولمّا قرأنا: {وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ} قلنا إنّ الله –عزّ وجلّ– من سنّته أن يُري النّاس آياته، وسّعنا الأمر وقلنا: كلّ النّاس.

وبعد ذلك قيل: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم} فهي تنفع أن تكون قست قلوب بني إسرائيل الّذين كانوا فعلوا هذا الفعل، أو {قَسَتْ قُلُوبُكُم} كلّكم يا بني إسرائيل؛ بحيث أنّ الّذي كان سالفه هذا الحال، ورّث مَنْ بعده قسوة القلب.

وبهذا نفهم: أنّ التّربية أهمّ عامل للاستقامة والصّلاح؛ لأنّه في التّربية يحصل توريث إمّا للين القلب وإمّا لقسوة القلب، مهما كانت هناك إشكالات في الطّباع؛ يبقى أنّ التّربية لها أثر حتّى لو كان الإنسان طبعه حسن، أو طبعه سيّء.

ولذلك في حديث أشجّ بن عبد قيس، في وفد قيس لمّا أتوا على النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– هو حديث لطيف جدّا ويبيّن مكانة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– عند هذه القبيلة، وفي نفس الوقت يبيّن لنا شيئًا في مسألة الأخلاق:

أقبل هذا الوفد على النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فرأوه في صدر مجلس مسجده، فمن حبّهم له طرحوا كلّ شيء في أيديهم، وتركوا جمالهم، وأغراضهم، وأقبلوا على النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقبّلون يده ورأسه الشّريفة –صلّى الله عليه وسلّم– وبقي واحد منهم فقط الّذي هو أشجّ، رتّب نفسه ودابّته ودخل على النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بهدوء، وكان النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يلحظه، فقبّل يد النّبيّ –

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة البقرة: ٧٣.

صلّى الله عليه وسلّم- الشّريفة، ورأسه، وجلس مع قومه، فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (إِنّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمَ وَالأَنَاةَ)، هذا طبعًا مدح له، **لكن نحن شاهدنا الآن:** في سؤال أشجّ نفسه، فقال أشجّ: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا، قَالَ: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا) أي خلقك ربّنا بهذه الجبلّة (قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ)[1] صلّى الله عليه وسلّم.

الشّاهد: من كلام أشجّ، أنّه قسّم الأخلاق إلى قسمين:

قسم جبلّي، وقسم مكتسب، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وافق على ذلك.

القسم الجبلّي: هذه طباع يهبها الله للنّاس.

القسم المكتسب: يؤثّر حتّى في القسم الجبلّي.

فلذلك هو سأله: (أَنَا أَتَخَلّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا) فاكتسبتهما فوصلت بهما إلى ما أنا عليه؟

الآن نحن في موضوعنا: في بني إسرائيل يكون الإنسان أيًّا كان طبعه، حسنًا كان أو سيّئًا، لكن إذَا عاش في قوم قاسي القلب، تمرّ عليه المواقف الصّعبة، يمرّ عليه الفقراء، يمرّ عليه المساكين، يمرّ عليه إنسان في تفجّعه، وهو لا يردّ ولا يصدّ، فقط أهمّ شيء نفسه، نفسي، نفسي، والنّاس يحتاجون الرّيال مثلًا، وهو ١٠٠ ريال يصرفها في هواه ولا يتحرّك في قلبه أنّ هذا محتاج أو هذا محتاج!

بيئة مثل هذه، ستورّث قسوة القلب، طبعًا هذا الجزء البسيط الّذي نستطيع أن نشرحه في قسوة القلب، وإلّا فإنّه موضوع أضخم من أن يستطاع جمعه أنّه كيف تُورّث قسوة القلب؟

لكن في النّهاية لابدّ أن نفهم: أنّ الطّباع مهما كانت يأتي توريث التّربية ويؤثّر في الإنسان، ثمّ إذَا فَتّحُوا أعينهم ومُدح لهم هذا الأمر، يعني حين كانوا صغارًا مُدح لهم البُخل، ومُدح لهم قسوة القلب، ومُدح لهم الأنانيّة، ومُدح لهم فكّر في نفسك والنّاس من ورائك، أنت ومن ورائك الطّوفان، عندما يكبر وينضج، ويصير هو مسؤوليّته تربية نفسه؛ سيربّيها على ما استحسن الأوائل! لأنّ الإنسان هناك حدّ معيّن لتربية والديه له، وبعد ذلك يصير هو مسؤوليّته أن يربّي نفسه، ويزكّيها. لكن حين يتربّى في مجتمع يزكّي قسوة

(١) أخرجه البيهقيّ (٢٠٨٤).

القلب، ويكبر على ذلك؛ هو بعد ذلك سيستحسن قسوة القلب، إلّا من رحم الله، فمن يرحمهم الله هم الّذين لم يستحسنوا قسوة القلب.

ثمّ إنّ هذه الصّفة بالذّات: صفة قسوة القلب، ليست صفة طبيعيّة، فالإنسان بطبيعته يرقّ، لكن سيتبيّن لكم مباشرة أنّ أهمّ سبب لقسوة القلب سيأتي في السّياق بوضوح، وإن كان جاءت الإشارات له.

باختصار أهمّ سبب لقسوة القلب: **حبّ الدّنيا**، لماذا الإنسان يكون قاسي القلب لا يشعر بأيّ شيء؟ ولا بأيّ حقائق؟ لأجل أنّه يحبّ الدّنيا.

ما هو أصل لين القلب؟

أصل لين القلب: الإيمان، أصل لين القلب أن يشعر الإنسان بالحقائق الغيبيّة.

مَثل الّذي يكون قلبه قاسٍ، مثل أن تقولي: هذا الجزء من البدن: لا يشعر! هل تعرفون المشلول ما الّذي يحصل له في الجزء المشلول به؟ الجزء المشلول لا يشعر؛ يصير القلب القاسي، ما هي أهمّ صفة عنده؟

لا يشعر! ميّت، مهما كلّمته عن الحقائق الغيبيّة؛ لا يشعر بها!

مثلًا: تقولين له: (مجلس العلم تحيط به الملائكة) هذا شيء غيبيّ، لكنّه يقيني عند أهل الإيمان، فالقلب ما هي مشكلته؟ لا يشعر أنّ الملائكة موجودة! على قدر شعوره بالملائكة، على قدر لين قلبه، على قدر الشّعور يكون لين القلب، يعني إذا نظرت في السّماء، فتذكّرت قول النّبيّ: (أَطّتِ السّمَاءُ، وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ)، (أَطّتِ) بمعنى: أصدرت صوتًا، ثُقْلًا (أَطّتِ السّمَاءُ، وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلّهِ)[1]، فهذا دليل على لين القلب.

وهذه الصّورة الآن الّتي وصفها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كلّما لانَ القلب شعر بها أكثر.

وانظري: عندما تصلّين على الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- ويأتي في الحديث أنّه: (من صلّى على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- صلّى الله بها عليه عشرًا) والآية الّتي في سورة الأحزاب المشهورة.

فالمفترض حين نصلّي على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ **يكون في قلبنا شعور**: أنّ الله سبحانه وتعالى، بجلاله، وعظمته، يثني علينا، يعني فلانة بنت فلان يُذكر اسمها في السّماء، مثنيًا عليها في الملإ الأعلى؛ عدم وجود هذا الشّعور، إشارة إلى شيء من قسوة القلب! **وبداية قسوة القلب إنّما تكون بالغفلة عن**

(١) أخرجه التّرمذيّ (٢٣٣٩).

الحقائق؛ بداية قسوة القلب أنّ الإنسان يغفل عن الحقائق اليقينيّة، ويتوهّم الحقائق أو يتوهّم المسائل، فيصير مغشوشًا! يغفل عن الحقائق، ويتوهّم شيئًا من المسائل.

المقصد: أنّهم قست قلوبهم، لم يعد عندهم شعور بالحقائق الإيمانيّة.

وهنا تظهر مشكلة كبيرة جدّا في التّفكير وهي: مشكلتنا مع المشاعر، أنّنا نعتقد بأنّ ربّنا أعطانا هذه المشاعر لأجل أن نعبث بها يمنة ويسرة، حقّنا نفعل بها ما نشاء! وهذا يشبه جسمنا، **شعورنا تجاهه**: أنّه حقّنا أن نفعل به ما نشاء! **مع أنّنا نقرأ مثلًا في سورة فصّلت**: كيف يكون موقف أهل النّار عندما يصلون عند النّار: {شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم}[1] وبعد ذلك يقولون: {لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ}[2].

نحن سنترك السّمع والبصر الآن، ونفكّر في الشّعور؛ لأنّ هذا أساس قسوة القلب!

إنّ الله لمّا خلق لنا مشاعر، خلقها لأجل أن نصل بها إليه، يعني المشاعر موهوبة لك؛ لأجل أن يسهل عليك أن تصل إلى ربّ العالمين، بمعنى: أنّ هناك مركب تركبه لأجل أن تصل إلى ربّنا بسهولة، هو **مركب الشّعور**: تحبّ، ترجو، تخاف، تتوكّل؛ **هذا هو الأصل**: أنّ مشاعرك، عبارة عن الأداة الّتي ستصل بها لربّ العالمين، **مثلما تقول**: قدمك، ويداك تصلّي بهما، بدنك لأجل أن تصلّي، ومشاعرك لأجل أن تصل إلى ربّ العالمين؛ فحين تقسو القلوب ماذا تكون النّتيجة؟ كأنّ المركب الّذي تركبه لترحل به إلى ربّنا، ينكسر فلا تكون هناك رحلة إلى الله! وهذا سببه من البداية: أنّ النّاس توزّع مشاعرها على من يستحقّ ومن لا يستحقّ! وندخل في اكتئابات، وفي أحزان، وكلّ فترة تجدنا مجروحين، مكتئبين!!

وهذه هي المشكلة: رأس مالك الّذي هو الشّعور منفَق في التّافه من الأمور، وبعد ذلك تبحث عن نفسك فلا تجدها! ونحن دائمًا نستبعد عن أنفسنا أن تأتينا خواطر انتحاريّة، لكن الّذي يمشي في طريق إنفاق المشاعر فيما لا يستحقّ؛ فإنّه في النّهاية الشّيطان يستحوذ عليه، يدخل به من يأس إلى يأس، ومن اكتئابات إلى اكتئابات، وفي النّهاية يستسهل أن يفعل في نفسه أيّ شيء.

---

(١) سورة فصّلت: ٢٠.

(٢) سورة فصّلت: ٢١.

ولذلك أكثر شيء نحن نظلم أنفسنا فيه: أن نعرّض أنفسنا لقسوة القلب عن طريق أنّنا ما تركنا شيئًا في الطّريق الّذي أحببناه إلّا وبذلنا مشاعرنا تجاهه، فلا نُعطي الأشياء قدرها؛ لا! وإنّما تصير فوضى شعوريّة! الفوضى الشّعوريّة تساوي في النّهاية أنّ القلوب تصير قاسية.

ولابدّ أن تعرفوا: أنّ هذا يتوارث مع التّربية؛ هذا هو الشّيء المهمّ الّذي حصلت به الانتقالة {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ} وانتقلنا لأسباب قطع الطّمع في بني إسرائيل؛ لأنّ قسوة القلب إن كانت في المربّين؛ مباشرةً تنتقل للمتربّين.

وقسوة القلب لا يصل إليها الإنسان مباشرة، فهي تبدأ بالغفلة! وكلّ فترة شهوة، كلّ فترة يُخرّج الإنسان لنفسه شيئًا يشتهيه ويحبّه إلى أن ينفذ ما عنده من شعور، إلى أن يملّ من كلّ شيء، ولا يكون لأيّ شيء طعم! **والسّبب؟** هذه الفوضى في استخدام مشاعرنا!

المهمّ في النّهاية: فإنّ المشاعر ليست لأن ترسم قلبًا، أو ترسله من جهازك إلى جهاز الآخرين بين أزرق وأحمر وأخضر، وبين الّذي يحمل السّهم، ولا يحمل السّهم؛ فإنّ كلّ هذا من الاستهتار بمكان هو أصلًا مكان نظر الرّبّ!

ثمّ انظر في آية فصّلت مرّة أخرى: {شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم}[1] لكن ما شهد عليهم قلبهم! إنّما شهدت الأسماع والأبصار والجلود على القلب! أنّه هو مَنْ أَوْدَى بها يمينًا وشمالًا! فكلّ القصّة إنّها هي في القلب الّذي يقسو أو يلين.

فالمعنى الآن: أنّه لمّا قست قلوبهم؛ ما تصوّروا الحقائق الإيمانيّة، فتعاملوا مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فيما سيأتي الآن، ليس على أساس أنّه رسول يوحى إليه، وينزل إليه جبريل؛ لا! وإنّما على أساس أنّه شخص عادي وتعاملوا معه كما يتعاملون مع النّاس! ومن ثَمّ فإنّهم يتصرّفون ويمكرون ويكيدون بالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ويكذبون ويقولون كلامًا ليس صحيحًا! وهم لا يشعرون أنّهم مفضوحون غاية الفضيحة! بسبب قسوة القلب، عدم الشّعور بالحقائق الإيمانيّة.

إذًا: ٢٠ سببًا في أسباب قطع الطّمع، ما هو سببها الأساسي؟ قسوة القلب، عدم الشّعور بالحقائق الإيمانيّة، يعني كلّ شيء متّصل بالغيب؛ لا يوجد شعور تجاهه!

---

(١) سورة فصّلت: ٢٠.

على كل حال، هذه الآية (٧٤) هي الآية الّتي فتحت لنا أسباب قطع الطّمع، ثمّ بعد ذلك تبيّن لنا السّبب الأوّل من أسباب قطع الطّمع، والسّبب الثّاني. لماذا يُقطع الطّمع فيهم؟ لأنّهم مجتمع علماء وأمّيّون:

- **العلماء**: لأنّه ليس هناك مشاعر بأنّ الله سيحاسبهم، وأنّهم مسؤولون عن كلمتهم، ماذا فعلوا؟ يُضلّلون، ثمّ من زيادة التّضليل: {وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ}[١] أليس الله مطّلع عليكم؟! كيف تقولون ذلك؟! يقولون لهم: (لماذا تقولون لهم كلامًا غدًا يُحاجّونكم به عند ربّنا)! فهذا دليل على أنّهم ليسوا بقادرين على أن يفهموا أنّ ربّنا مُطّلع عليهم! لكن هذا من آثار قسوة القلب! فمن آثار قسوة القلب أن يُعاملوا الرّبّ العظيم الّذي له كمال الصّفات كما يُعاملون أيّ أحد! لذلك الله -عزّ وجلّ- ردّ عليهم، قال: {أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ}[٢] فهم يعلمون لكن ما هي مشكلتهم؟! قسوة القلب تجعل المعلومات لا تقع في المكان الصّحيح؛ ما يشعر بها، ومن ثَمّ لا تكون مصدرًا لقراراته، وتصرّفاته، وكلامه!
- **والسّبب الثّاني أنّ منهم أمّيّون**: هؤلاء هم أسارى الأماني! هم فقط سائرون {كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ}[٣] يقودونهم حيث يقودونهم، لا يفكّرون، ولا يتنبّهون، ولا يبحثون عن الحقّ، وكلّ فترة يقولون: (كنت أحسب كذا! وكنت أحسب كذا!) ثمّ بعد ذلك لن تنفعه هذه: (كنت أحسب)! لأنّهم سيحاسبون على أعمالهم!

هكذا نكون انتهينا من السّببين.

---

(١) سورة البقرة: ٧٦.

(٢) سورة البقرة: ٧٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.

تابع مدارسة المقصد الثّاني

(٤٠_١٦٢)

مدارسة السّبب الثّالث من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٠ _ ٨٢).

مقارنة مظهر الصّفة الثّالثة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب الرّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٣ _ ٨٧).

مقارنة مظهر الصّفة الرّابعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب الخامس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٨) ومقارنة مظهر الصّفة الخامسة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب السّادس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٩_٩٠).

مدارسة السّبب السّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩١_٩٣).

مدارسة السّبب الثّامن من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩٤_٩٠).

مقارنة مظهر الصّفة الثّامنة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب التّاسع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩٧_٩٩) ومقارنة مظهر الصّفة التّاسعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب العاشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٠_١٠١) ومقارنة مظهر الصّفة العاشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مدارسة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٢_١٠٣) ومقارنة مظهر الصّفة الحادي عشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم.

مقارنة مظهر الصّفة الثّالثة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

نحن اتّفقنا اليوم: بأنّ كلّ سبب من أسباب قطع الطّمع سنقارنه بحال المسلمين، ونرى هل عندهم هذا السّبب أم لا؟ كما مرّ معنا سابقًا أنّ المسلمين يتداولون بينهم أنّه: (لا داعي للعمل! وأنّ الوقوع في الكبائر، وغيرها، لا يؤثّر! لأنّ من قال: (لا إله إلّا الله) دخل الجنّة)! ثمّ يقولون كلامًا منزوعًا من الأدلّة: (ما دام أنّي مسلم، وقلت: (لا إله إلّا الله) لن أخلد في النّار حتّى لو دخلت فيها)! وكأنّ الدخول في النّار شيء عادي! وهذا الاستخفاف وحده جريمة كبيرة تُذهب من الإيمان ما تُذهب! فيكاد الإنسان يخرج من الإيمان إلى النّفاق بسببه! والمنافق معلوم مكانه في الدّرك الأسفل من النّار، وأهمّ صفة في المنافق أنّه: مستهزئ بالنّصوص.

لكن على اعتبار أنّه مسلم سَنُعِيدُ على أنفسنا: النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) [١] هو الّذي قال: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)[٢] هو من قال: (مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ)[٣] (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ)[٤].

إذًا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لها شروط! وإلّا فإنّ المنافق قال: (لا إله إلّا الله)! أليس في أوّل **سورة المنافقون**، الله -عزّ وجلّ- قال عن المنافقين أنّهم يقولون: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ}[٥] ما صفتهم؟ {لَكَٰذِبُونَ}. **معنى ذلك**: أنّهم يقولون بلسانهم: (لا إله إلّا الله)! ويقولون: (محمّد رسول الله)! لكنّ {ٱللَّهُ يَشْهَدُ} أنّهم كاذبون!

فالمقصد: أنّ مثل هذه الدّعوى تجعل الإنسان يقترف الجرائم، ثمّ يقول: (أنا قلت: لا إله إلّا الله)! **والأسوأ من ذلك**: أنّه يأتي أحد يقول لأحد: (الانتحار من الأعمال الّتي تُعتبر من الكبائر، لكن أنت إذا انتحرت فأنت تحت رحمة الله)! والثّاني يأخذ هذه الفتوى، ويقول: (لا تلوموني! لابدّ أن تكون لديكم ثقافة احترام المنتحر! وأنّه لا يعتبر كافرًا)! ومن ثَمّ فإنّه يدخل في هذا الباب ويروّج له!

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٧).

(٢) أخرجه البخاريّ (٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٧٥).

(٤) أخرجه البخاريّ (١١٤٥).

(٥) سورة المنافقون: ١.

سنرجع مرّة ثانية لنفس النّقطة: **إنّ الّذي يتعامل مع النّصوص الشّرعيّة بنوع من الاستهزاء، ويقترفها بنوع من عدم التّعظيم؛ لا يُؤْمَنُ عليه أن يخرج من الإيمان ويدخل في النّفاق الأكبر الّذي صاحبه في الدّرك الأسفل من النّار!** يعني ليس فقط يصبح مثل الكافر، وإنّما يدخل كذلك عند النّفاق! ما يُؤْمَنُ عليه أن يحصل له ذلك.

فالاستهزاء بالأوامر الشّرعيّة، وإدخالها تحت باب أنّه: (لا تحمل همّا! ما دام أنّك موحّد! في النّهاية فإنّك مُؤَكّد في الجنّة! هذا أكيد)! هذا الأسلوب في الكلام لا يَخْرُجُ من معظّم لله؛ لا يَخْرُجُ إلّا من شخص قسى قلبه، و(قسى قلبه) أي انفتح له باب النّفاق؛ وإذَا كان مُظهرًا للإيمان؛ إذًا: باب النّفاق مفتوح له من الخلف! والمنافق نفاقًا أكبرًا في الدّرك الأسفل من النّار! فإذَا خرج من مسألة الكفر؛ سيدخل فيما هو أسوأ منه وهي: مسألة النّفاق!

المشكلة: أنّ النّفاق ليس على البال! يشعر الإنسان أنّه ليس له علاقة بالنّفاق! بينما يكون ألصق ما يكون بالنّفاق! خطوة واحدة! يضعف إيمانك، يضعف إيمانك، إلى درجة أنّه باقٍ خطوة وتذهب إلى النّفاق، ويكون – والعياذ بالله – الإنسان في الدّرك الأسفل من النّار! واذهبي إلى سورة النّساء، واقرئي صفات المنافقين: {إِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ}؟! **ما حالهم؟** {قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ}[1] وهؤلاء الكُسالى ما أكثرهم في البلد؟! **أقصد**: أنّ الصّفات متوافرة! نسأل الله أن يحفظنا من النّفاق، ومن كلّ أسباب زوال الإيمان.

المشكلة: أنّ الإيمان ما أصبح في الخارطة شيئًا مهمًّا! فأصبح النّاس يدخلون في أيّ شيء! وهم لا يشعرون بأنّهم لابدّ أن يخافوا على إيمانهم! تجدهم يخافون على أبدانهم أكثر ممّا يخافون على إيمانهم! طوال الوقت يكلّمونك عن الأكل الصّحّي! ولا أحد يتكلّم عن الصّحبة الصّالحة، والقراءة الصّحيحة، والتّغذية للقلب السّليمة، لكن ما همّهم إلّا أبدانهم الّتي في النّهاية ستأكلها الدّيدان!

هل تلاحظون لماذا هم لا يهتمّون بقلوبهم؟! لأنّ عندهم إحساس بأنّهم: (مؤمنون، متّقون، عندهم قرآن! {لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً}! هذا لو مسّتنا فإنّها تمسّنا أيّامًا معدودة)! وهذا مَنْشَأُ الاجتراء على الموبقات العظيمة! إذَا بدأ الإنسان بهذا الأسلوب في التّفكير؛ فإنّه لا يؤمن عليه أبدًا أن تقع قدمه في مَزْلَقٍ لا يرجع بعدها! الله يحفظنا، ويسلّمنا، ويحفظ ذرارينا، والمسلمين أجمعين، اللّهمّ آمين.

---

(١) سورة النّساء: ١٤٢.

هكذا تبيّن لنا العدل الإلهيّ في الجواب؛ فهذا هو مقياس العدل الإلهيّ.

مدارسة السّبب الثّالث من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٠ _ ٨٢)

نبدأ الآن في السّبب الثّالث، نحن فقط درسنا سببين، نبدأ من عند الآية (٨٠):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

هذا الآن السّبب الثّالث من الآية (٨٠) إلى الآية (٨٢)، هذا السّبب يُمثّل لك منشأ اجتراؤهم على كلّ موبِقَةٍ! كلّ موبِقَةٍ ارتكبوها ما منشأ اجتراءهم عليها؟ اعتقادهم أنّ النّار لن تمسّهم إلّا أيّامًا معدودات! زعموا هذا الزّعم واغترّوا به!

دعونا نرى الجواب عليهم: الّذي أتى في الآية (٨١) والآية (٨٢): {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} ماذا يعني هذا الجواب؟ {بَلَىٰ} هنا بمعنى: ليس الأمر كما يظنّون! إنّما ما هو ميزان الحساب عند ربّ العالمين؟ هل ميزان الحساب يتّصل بعرق، بجنس، بمكان؟ هل لأنّك مُجاور للحرمين؛ سيكون لك ميزان خاصّ؟ لا!

هل لأنّك من جنس عربيّ الّذي منه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سيكون لك ميزان خاصّ؟!

لا! إنّما هذه قاعدة العدل الإلهي: {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ} وفي مقابلها: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ}.

إذًا: {أَصْحَابُ النَّارِ} بصفة، و{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} بصفة، لا جنس، لا لون، لا مكان، ولا شيء! إنّما بصفة، ما هي الصّفة؟ الّذي يكسب سيّئة وتُحيط به خطيئته الّتي هي **تعني**: الشّرك {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} هذا ماذا؟ يكون في النّار، **في مقابلها**: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} فقط! لا جنس، ولا لون، ولا أيّ نوع من أنواع التّمييز الّتي يستعملها النّاس في الدّنيا.

---

(١) سورة البقرة: ٨٠_٨٢.

إذًا: لمّا {قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} قيل لهم: {أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا}: هذا سؤال: هل أنتم اتّخذتم عن الله عهدًا بذلك؟! {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الحقيقة أنّهم يقولون على الله ما لا يعلمون!

مدارسة السّبب الرّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٣ _ ٨٧)

سيأتينا كذلك السّبب الرّابع، وهو متّصل بالسّبب الثّالث من وجه، هذا السّبب الرّابع يحتاج إلى تركيز؛ لأنّه مركّب على ما قبله، وفيه مقدّمة، ثمّ نصل إلى السّبب، سنبدأ من الآية (٨٣):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}[1].

دعونا نرى: كيف أنّ هذا سبب من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم، هذا المقطع بالذّات فيه نوع من التّدرّج معهم لبيان حالهم، وفيه إجابة لما سبق، الآن هم قالوا: {لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً} على أساس أنّهم هم المؤمنون المتّقون، وغيرهم هم الكافرون! فالآن بُيّن لهم أنّهم هم الّذين يصلُح عليهم اسم الكُفر؛ ومن ثمّ فإنّهم هم {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ}.

ألم يُبيّن في الآيات السّابقة ميزان العدل الإلهي؟ الآن كأنّهم وُزِنُوا، وصاروا كأنّهم يُصَنّفُون: هل هم من الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات؟ أم هم من الّذين كسبوا سيّئة وأحاطت بهم خطيئتهم؟ وأتى الموضوع بالتّدريج، فذُكّروا بالعهد.

(١) سورة البقرة: ٨٣_٨٧.

الآية (٨٣)، ذُكّروا {وَإِذْ} واذكروا الميثاق الّذي بينهم وبين الله. ما هو الميثاق؟ من الآيات؟

{لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا} وأيضا إحسانًا بمن؟ {وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ}، وكذلك أُمروا: {وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا} ، {وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ}، كلّ هذا كانوا مأمورين به، ثمّ {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ}.

إذًا من الّذي كسب سيّئة؟ أنتم الّذين أعرضتم بعد الميثاق. إذًا هذه الآية الأولى الّتي هي الآية (٨٣) مقدّمة بُيّن فيها الميثاق، وبعد ذلك بيان أنّهم هم الّذين كسبوا السّيّئة، بماذا كسبوا السّيّئة؟ بالإعراض: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ} **إذًا**: ما هي جريمتهم في الآية (٨٣)؟ التّولّي والإعراض.

كأنّنا نقول: أُخذ عليهم الميثاق، فتولّوا عنه وأعرضوا، فكانت هذه هي الجريمة الأولى الّتي ذُكرت في هذا السّياق.

دعونا نرى كذلك في الآية (٨٤)، ما هي الجريمة الّتي قاموا بها؟

القضيّة في الثّلاث آيات كانت ظاهرة:

- ما هو الميثاق الّذي أخذ عليهم في هذا الموطن؟
- هم واقعيًّا ماذا فعلوا؟
- وبعد ذلك ما الحكم عليهم؟

أوّلًا: ما هو الميثاق الّذي أخذ عليهم في هذا الموطن؟

هم اثني عشر نقيبًا الّذين هم أبناء يعقوب –عليه السّلام– فإذًا صاروا قبائل، وكلّ قبيلة صاروا متحزّبين؛ فأُخذ عليهم ميثاقًا، نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضًا. فكان في قتل الرّجل منهم الرّجل قتل نفسه؛ إذ كانت ملّتهما واحدة، فهما بمنزلة رجل واحد، وأيضًا بأن لا يُخرجوا أنفسهم من ديارهم. "أنفسهم" بمعنى: المجموع كلّه يُعتبر أخوه كأنّه من نفسه. إذًا ما هو العهد؟

ألّا يسفكوا دماءهم، ولا يُخرجوا بعضهم بعضًا من ديارهم. وأقرّو على هذا وشهدوا.

ثانيًا: هم واقعيًّا ماذا فعلوا؟

الآن هم ذهبوا إلى المدينة، وكان هناك قبيلتين: الأوس والخزرج.

فانقسم اليهود إلى قسمين: صار حزب منهم مع الأوس، وحزب مع الخزرج. وكان بين الأوس والخزرج دائمًا عداوة وقتال. فصاروا عندما يتقاتل الأوس مع الخزرج؛ اليهود الّذين مع الأوس يقاتلون اليهود الّذين مع الخزرج، أي أصبح هؤلاء صفّ، وهؤلاء صفّ، فيتقاتلوا، فتكون النّتيجة أنّهم يقتلون أنفسهم ويخرجون بعضهم من الدّيار! إلى هنا ما انتهت الجريمة!

الطّرف الثّاني العجيب من تصرّفهم، شيء آخر يدلّ على أنّ تركيبتهم عجيبة في التّفكير! فبعد أن يقاتلوا بعضهم بعضًا ويخرجوا بعضهم، تأخذ الأوس أسيرًا منهم، والخزرج يأخذ أسيرًا من الطّرف الثّاني؛ فهم ماذا يفعلون؟ يذهبون كلّهم يجمّعون أموالًا ويفدون الّذين أُسروا من الطّرفين!

فما هذا النّوع من التّفكير؟ {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} أي يرون أنّ فداء الأسرى يعتبر من الإيمان عندهم! وقتالهم؟! وإخراجهم من ديارهم؟! لا يعتبرونه من الإيمان! اتّضح الآن كيف كان التّناقض لديهم: يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض! معناها: أنّهم ارتكبوا خطيئة في سفك الدّماء، وارتكبوا خطيئة في الإخراج من الدّيار، وارتكبوا خطيئة أخرى ليس في الفداء؛ وإنّما في كونهم يعرفون الأحكام ويؤمنون ببعضها ويكفرون ببعضها!

ثالثًا: ما الحكم عليهم؟

في الآية (٨٦) الله –عزّ وجلّ– حكم عليهم، قال: {أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}.

إذًا متى يفعل الإنسان مثل هذه التّصرّفات؟ عندما يكون حبّ الدّنيا غالبًا عليه؛ فإنّه يأخذ من الدّين فقط الّذي يكون فيه مصلحته! فتجده يستخرج مصلحته من الآخرين بدليل يحفظه، لكنّه ليس ملتزمًا بالكتاب.

مقارنة مظهر الصّفة الرّابعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

ألم نتّفق على أنّ كلّ سبب من أسباب قطع الطّمع عندهم، سيقابله سببًا عندنا، أين نحن من هذا الموطن؟ {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} بمعنى عندما تريدون شيئًا فإنّكم تأتون بالدّليل عليه، وعندما لا تريدون الشّيء تأتون بدليل على عكسه!

دعونا نفترض الآن: أنّ هذه المرأة الآن تريد أن تستضيف صاحباتها، وتعطي زوجها قائمة طويلة من الطّلبات، يقول لها: (هذا كثير) فتقول له: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)[1] أخذت الدّليل، واستدلّت به على مصلحتها.

جاء هو الأسبوع القادم عنده ضيوف، فهناك طلبات أنّها تطبخ كذا، وكذا، فماذا تقول له؟ تقول له: (الله –عزّ وجلّ– نهى عن الإسراف! والله لا يحبّ المسرفين! وكذلك إنّ المسرفين إخوان الشّياطين)! فيوم الدّليل لصالحي! وهذا اليوم الدّليل كذلك لصالحي! الدّليل الّذي أظهره اليوم، غير الدّليل الّذي أظهره اليوم الثّاني! فقط تستدلّ بالدّليل الّذي يوافق مصالحها.

فأنت هنا فكّري طويلًا كيف أنّ هذا الموقف فيه شَبَهٌ باليهود؟ أنّهم يقتلون بعضهم ثمّ يأتون بالدّليل الثّاني ويفدون بعضهم! فهم أنفسهم الّذين كانوا يقاتلونهم، وهم بأنفسهم الّذين ساعدوا على أسرهم، يفدونهم من الجهة الثّانية! هي نفس طريقة أنّي أستخدم الدّليل اليوم لصالحي، وغدًا آتي كذلك بدليٍ ثانٍ لصالحي!

فهذا الأسلوب في التّفكير والحياة الّتي بهذه الطّريقة؛ إنّما فيها شبه عظيم باليهود، ما السّبب؟ لماذا يخرج الإنسان الدّليل وقت ما يشتهي؟! وعلى الهوى الّذي يريده؟! بسبب حبّ الدّنيا، ليس هناك تقوى، ليس هناك إيمان، ليس هناك خوف من ربّ العالمين؛ وإنّما هناك حبّ للدّنيا، فحتّى المعلومات الصّحيحة الّتي عندي أخرجها في الوقت الّذي تفيدني فيه فقط! وليس لأنّ الله –عزّ وجلّ– يعلم ما في قلوبنا، وأنّنا نريد أن نصل إلى تقواه.

في الآية (٨٧): أيضًا هناك ما يدلّ على أنّهم اقترفوا سيّئة، نحن إلى الآن عندنا دليلين على أنّهم اقترفوا السّيّئة:

الدّليل الأوّل: أنّه أُخذ ميثاقهم أن يفعلوا، ويفعلوا، ويفعلوا، لكن هم تولّوا وأعرضوا!

الدّليل الثّاني: في كون علاقتهم ببعضهم البعض، أنّهم لا يسفكون دماءهم، ولا يُخرجون بعضهم من ديارهم، ولكنّهم سفكوا الدّماء، وأخرجوا من الدّيار، وهم مستظهرين الأدلّة، ثمّ فدى بعضهم بعضًا؛ صارت جريمتان فيها دليل على أنّهم يقترفون خلاف ما أمر الله.

---

(١) أخرجه البخاريّ (٥٨٠٩).

في الآية (٨٧) تأتي الجريمة الأعظم {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ} ما موقفهم؟

{فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} يعني وصلوا أن يقتلوا أنبياء الله، مثل: قتلهم ليحيى! مثل: محاولة قتلهم لعيسى عليه السّلام. إذًا معنى هذا: أنّ هؤلاء الّذين كسبوا السّيّئة وأحاطت بهم خطيئتهم؛ ذُكرت ثلاث جرائم تدلّ على أنّهم هم الّذين كسبوا السّيّئة وأحاطت بهم خطيئتهم.

هكذا نكون انتهينا من السّبب الرّابع.

بيان أنّهم هم الّذين كسبوا السّيّئة وأحاطت بهم خطيئتهم.

مدارسة السّبب الخامس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٨)

ومقارنة مظهر الصّفة الخامسة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ}[1].

ما هو السّبب؟ دعواهم أنّهم لا يسمعون الحقّ بسبب أنّ قلوبهم مُقفلة. {غُلْفٌ} **أي** مُقفلة. هذا الكلام عند أهل الإسلام ما هي صورته؟ أن يأتي أحد يقول: (أنا لا أفهم الخطاب الشّرعي! أنا لا أفهم القرآن عندما أقرؤه!)؛ نحن كلّنا نقول: (لا نفهم) هل سنكون مثلهم؟ لا! لابدّ أن تميّزي أنّ كلامهم مبنيّ على أمرين:

الأمر الأوّل: عدم الفهم حُجّة عندهم لعدم الإيمان.

الأمر الثّاني: أنّهم ما طلبوا لقلوبهم مفتاحًا، لمّا قالوا: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} مُقفلة. لكن أيّ شيء مُقفل له مفتاحه؛ كان المفترض أن يبذلوا لأجل أن يصلوا، ممكن الإنسان لا يفهم المرّة، والمرّتين، والثّلاثة، لكنّه يبذل جهده لأجل أن يصل.

أهل الإيمان الآن: كيف يخرجون من هذا الوصف؟ يقومون بأمرين:

الأمر الأوّل: لا يرون أنّ عدم فهمهم حُجّة لعدم إيمانهم؛ أهل الإيمان يقولون: (سمعنا وأطعنا)، حتّى الشّيء الّذي لا يفهمونه يقولون عليه: (سمعنا وأطعنا).

---

(١) سورة البقرة: ٨٨.

والأمر الثّاني: أنّهم يبحثون، ويبذلون جهودهم.

الحمد لله، هكذا انتهينا من الآية (٨٨).

مدارسة السّبب السّادس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٨٩_٩٠)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ}(١).

ما هو السّبب السّادس؟ كُفرهم بالكتاب الجديد الّذي كانوا يستفتحون به على العرب لأنّه أُنزل على غيرهم، ماذا كانت حالتهم؟ كانوا قبل أن ينزل القرآن، يقولون: (إذَا أتى الرّسول سنؤمن به، ونُقاتل المشركين) فلمّا نزل القرآن {كَفَرُواْ بِهِۦ} لأنّه في ظنّهم سينزل على اليهود.

مدارسة السّبب السّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩١_٩٣)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(٢).

هنا في هذا السّبب السّادس والسّابع الأمر متشابه؛ علاقتهما بالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- والكتاب.

في السّبب السّادس كفروا بالكتاب الّذي كانوا ينتظرونه، والرّسول الّذي كانوا ينتظرونه؛ والسّبب كما في الآية (٩٠): {بَغْيًا}.

أمّا في السّبب السّابع حين يُقال لهم: (آمنوا بالرّسول الّذي هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم) يقولون: (نحن واجبنا أن نؤمن بمن أُرسل إلينا) **إذًا السّبب:** دعواهم القيام بواجبهم، **وهو:** الإيمان بما أُنزل عليهم.

---

(١) سورة البقرة: ٨٩_٩٠.

(٢) سورة البقرة: ٩١_٩٣.

من خلال الآيات، ما هي الإجابة على هذه الدّعوة؟ {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} **معناها**: أنّهم بأنفسهم كانوا كافرين بأنبيائهم، بدليل أنّهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ} هذا هو اعتقادهم؛ أنّهم فقط يؤمنون بالّذي ينزل عليهم، والّذي ينزل بعد ذلك يكفرون به؛ **فقيل لهم**: أنتم أصلًا تكذبون في كونكم آمنتم برسولكم: {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ} أي أنّ اتّخاذكم العجل كان دليل على أنّكم ما آمنتم حتّى بموسى! بل ما حصلت منكم الطّاعة إلّا بعد رفع الطّور: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ}.

إذًا هذه كلّها أفعال تدلّ على أنّهم حتّى رسولهم ما آمنوا به، وبذلك نكون انتهينا من السّبب السّابع.

ما هو السّبب الّذي يقطع طمعنا في إيمانهم؟ دعواهم أنّهم يكفيهم الإيمان برسولهم، وهم برسولهم نفسه ما آمنوا.

مدارسة السّبب الثّامن من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩٤_٩٠)

يقول الله عزّ وجلّ: {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرٌۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ}[1].

ما هو السّبب هنا؟ زعمهم أنّ الدّار الآخرة خالصة لهم، أي لهم الجنّة، **وفي مقابل ذلك**: اختُبر هذا الادّعاء بأن قيل لهم: إذا كنتم تعتقدون أنّ الدّار الآخرة خالصة لكم {فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} ماذا تبيّن؟ حبّهم الشّديد للدّنيا.

إذًا ما هو السّبب في قطع الطّمع في إيمانهم؟ زعمهم أنّ الدّار الآخرة خالصة لهم.

ما هو الفرق بين هذا السّبب، وبين أنّهم قالوا: {لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً}؟

(١) سورة البقرة: ٩٤_٩٦.

هم الآن يدّعون، فقيل لهم: {قُل إِن كانَت لَكُمُ الدّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خالِصَةً مِن دونِ النّاسِ} ماذا يعني {خالِصَةً مِن دونِ النّاسِ}؟ **أي** يدّعون أنّهم وحدهم الّذين سيدخلون الجنّة! وإذَا دخل أحد منهم النّار فلن تمسّه {إِلّا أَيّامًا مَعدودَةً}! أي أنّ الدّعوة لها وجهان:

- أنّ النّار لن تمسّهم {إِلّا أَيّامًا مَعدودَةً} لو دخلوها!
- والجنّة لن يشاركهم فيها أحد!

يعني النّار نصيب كلّ الخلق، والجنّة نصيبهم هم، وهم إذَا دخلوا النّار ستكون {أَيّامًا مَعدودَةً}!

ما هو الجواب؟ {فَتَمَنّوُا الموتَ إِن كُنتُم صادِقينَ} طبعًا {لَن يَتَمَنّوهُ أَبَدًا}. هكذا انتهينا من هذا السّبب.

لكن لماذا هذا السّبب يقطع الطّمع في إيمانهم؟ لماذا هذا السّبب يجعلنا نقول بأنّ هؤلاء لن يؤمنوا؟

لأنّهم لو كان حالهم كذلك، فلن يتّبعوا الإسلام، لماذا؟ لأنّهم ضامنون دخول الجنّة! فهل مثل هذا تقولين له: (افعل كذا، وكذا؛ لأجل أن تدخل الجنّة) لن يقبل منك! فهو أصلًا عنده شعور أنّه ضامن للجنّة!

مقارنة مظهر الصّفة الثّامنة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

ولذلك هذا الّذي يفعلونه بالضّبط أئمّة الرّوافض للرّوافض! يُعطونهم جوازًا للجنّة، يقولون لهم: (لو فعلتم كذا، وكذا، فهذا جواز تدخلون به الجنّة! لا تحملوا الهمّ).

ولذلك فيما ابتُلي به المسلمون: أنّهم يحجّون الأربعينيّة، يعني أربعين يوما بعد مقتل الحسين في كربلاء، يحجّون على أقدامهم. أنا لا أذكر العدد الّذي أحصوه، لكن أقلّ شيء ممكن يكون ١٠ مليون أو ١١ مليون، أكثر من الحُجّاج إلى بيت الله بخمسة أضعاف! ومنهم من يسيرون على أقدامهم من إيران، ولبنان؛ لأجل أن يصلوا إلى كربلاء! وهذا إذَا قمتم به؛ فإنّه جواز تدخلون به الجنّة!

نفس هذا التّفكير: ثمّ إنّ الجنّة خالصة لهم من دون النّاس! يعني من دون أهل السُنّة، يعني أهل السُنّة عندهم هم أهل النّار وهم أهل الجنّة {خالِصَةً مِن دونِ النّاسِ}!

طبعا السّبب الرّئيسي رؤوسهم الّذين من البداية أتى الكلام عنهم أنّهم ضُلاّل، ويضلّونهم!

لكن هل هذا معناه أنّ العوامّ ليس عليهم شيء؟! لا! وإنّما العوامّ لابدّ أن يبحثوا حتّى ينقذوا أنفسهم ثمّ إنّ هؤلاء العوامّ لو قلنا بأنّهم في الزّمن الماضي قبل ١٠٠ سنة؛ ممكن يقولون بأنّ العوامّ لا توجد معلومات تصلهم، لكن اليوم العلم يصل لكلّ الخلق.

المقصد: أنّ مثل هذه الدّعاوي موجودة في العالم الإسلامي، أنّ الجنّة خالصة لهم! لكن نحن لا ندري هل الرّوافض يقولون بأنّ اليهود معهم أم لا! لكن أظنّ أنّهم يقولون بأنّ اليهود معهم، يعني هم يدخلون الجنّة، وكذلك اليهود، لكن أهل السّنّة لا! لأنّهم أصلًا إنتاج يهوديّ! يعني النّقطة الرّئيسيّة كان فيهم عبد الله بن سبأ الّذي هو يهوديّ! فمن المؤكّد أنّ معتقداتهم منتزعة منها، وحتّى فيما يُقال: أنّ في أرض سيناء يوجد قبر يزوره الصّوفيّة من المسلمين، واليهود، والنّصارى، والرّوافض! قبر واحد كلّهم مجمّعين عليه! إلى الآن! وهذا دليل على أنّ الكفر ملّة واحدة، الشّرك ملّة واحدة، يعني الّذين عبدوا المسيح، مثل الّذين عبدوا الحُسين، مثل الّذين عبدوا العبّاس، كلّهم وجه واحد! يعني عليّ بن أبي طالب عندهم في بعض دعواهم هو الّذي يحاسب النّاس يوم القيامة!

المقصد: أنّ هذه الدّعاوى موجودة حتّى في ديار المسلمين -الحمد لله- ربّنا سلّم أهل السُنّة منها، لكن المقصود أنّ مثلها موجود.

مدارسة السّبب التّاسع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٩٧_٩٩)

ومقارنة مظهر الصّفة التّاسعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {قُل مَن كانَ عَدُوًّا لِجبريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلبِكَ بِإِذنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ وَهُدًى وَبُشرى لِلمُؤمِنينَ (٩٧) مَن كانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبريلَ وَميكالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكافِرينَ (٩٨) وَلَقَد أَنزَلنا إِلَيكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكفُرُ بِها إِلّا الفاسِقونَ}[١].

ما هو السّبب الّذي يُسبّب قطع الطّمع في إيمانهم؟ عداوتهم لجبريل؟ لماذا يُعادون جبريل؟

يقولون: إنّه أنزل الكتاب على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- ولم ينزله على بني إسرائيل! ولذلك الجواب أتى في الآية، أنّ الأمر ليس بيد جبريل، قال الله عزّ وجلّ: {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلبِكَ بِإِذنِ اللهِ}.

(١) سورة البقرة: ٩٧_٩٩.

وهذا سيشبه شيئًا عند الرّوافض، وهو: اعتقادهم أنّ جبريل أخطأ فلم ينزل على عليّ؛ إنّما نزل على الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– طبعًا ليسوا كلّهم يقولون هذا الكلام؛ لا بدّ أن تعلموا أنّهم ليسوا متّحدين في أقوالهم! يعني فيهم من الفرق المشهورة أكثر من ٩ فرق، وهم متفرّعون أكثر من ذلك بكثير! فمن فرقهم من تقول: إنّ جبريل أخطأ فبدلًا من أن ينزل على عليّ نزل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم! كيف يتصوّرون أنّ ربّنا يترك جبريل يخطئ كذلك! وهذا كلّه من قلّة تعظيم الله! ومن قياس شأن الله، وشأن الوحي، وشأن الغيب بالأفعال الإنسانيّة. كأنّهم يمثّلون الله العظيم، ورسوله جبريل الّذي هو في مقام أمين، كإنسان أرسل مُرْسَلًا وأخطأ المُرْسَلُ أين يذهب! والإنسان ليس لديه قدرة هل هو ذهب في الاتّجاه الصّحيح أم لا! كلّ هذه مصائب على بعضها، كلّ هذه تدلّ على عدم تعظيمهم لربّ العالمين؛ فالّذي يقول مثل هذا؛ فإنّ هذا يُقطع الطّمع في إيمانه!

تصوّروا: أنّهم يعيشون مع النّبيّ –صلّى الله عيه وسلّم– وهم يشعرون بأنّه ليس هو الرّسول وإنّما جبريل أخطأ لمّا نزّل عليه الرّسالة! فمن ثمّ أبغضوا جبريل لأنّه أخطأ وما أتى بالرّسالة لهم!

فمثل هؤلاء ليس هناك أمل في إيمانهم، ومثله كما تبيّن لنا حال الرّوافض.

إذًا السّبب التّاسع الّذي يقطع الطّمع في إيمانهم: عداوتهم لجبريل الدّالّة على عدم تعظيمهم للوحي كلّه.

مدارسة السّبب العاشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٠_١٠١) ومقارنة مظهر الصّفة العاشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ}(١).

ما هو السّبب العاشر في قطع الطّمع في إيمانهم؟ تكرار نبذهم للعهود.

(١) سورة البقرة: ١٠٠_١٠١.

قوم يُعاهدون، وينبذون عهدهم، ويخونون؛ الإيمان أصلًا عهد! فإذَا جاؤوا عاهدوا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على الإيمان، وهم أصلًا هذا أسلوبهم ماذا ستكون النّتيجة؟! اليوم يؤمنون وغدًا يكفرون! فمثل هؤلاء قليلا ما يُطْمَعَ في إيمانهم وتسليمهم.

ولابدّ أن نعرف مرّة أخرى: أنّ هذه الصّفات عندما تسمعينها لابدّ أن تكوني في حذر منها، حين ترينهم ما هم معظّمين لأمر الدّين، ولا الوحي، ويتكلّمون عن الله، وعن الرّسالة بهذا الأسلوب، كأنّ جبريل يُخطئ ولا يعرف أين يذهب! وليس كأنّه شأن عظيم! والله الّذي يملك السّماوات والأرض، والّذي يُدبّرها بحيث أنّ رزقك اللّقمة الّتي كُتبَت لك ما يُخطئك أبدًا! هذا ما تعتقدينه في ربّ العالمين. فيأتون يقولون: (إنّ الوحي العظيم، الرّسالة، نزلت مع جبريل، وأخطأ جبريل على من يُنزّلها!) **هذا معناه**: أنّه ليس هناك تعظيم لربّ العالمين! فمن كانت هذه صفته -عدم تعظيم شأن الوحي- يُقطع الطّمع في إيمانه لأنّه لن يفكّر في ذلك!

ومن كانت صفته: أنّه يُعاهد وينبذ العهد، يُعاهد وينبذ العهد، ليس لديه إحساس بالمسؤوليّة تجاه العهود، هذا مثله يُعاهد ربّنا بالتّوبة ويرجع! يُعاهد ربّنا أنّه يُحافظ على الصّلاة ويعود! فمثل هذا قليل ما يُرْجَى إيمانه، لكن الإنسان لو كان في داخله العهود لها قيمة، يعني من القيم الّتي تتحكّم فيه، أنّه أنا عاهدت، أعطيت كلمة، اتّفقت؛ فهذا يُرْجَى إيمانه، وبمعنى آخر: لو كان هناك أحد كافر، وكان من أسلوبه تعظيم شأن العهود ليس لمصلحة دنيويّة وإنّما لقيمة معنويّة؛ فإنّه يُرْجَى في مثل هذا أن يُؤمن.

ولو تيسّر لنا أن نعود إلى الـ ٢٠ سبب الّتي مارسوها في العشر سنوات الّتي كانوا فيها مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سنجد بأنّ كلّ هذه السّنين تشهد بأنّ هؤلاء القوم فاقدون لقيم معيّنة سبّبت لهم أن يُمارسوا هذا الكفر على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في عشر سنوات يدعوهم ويدعوهم وهم هذا موقفهم منه يتلوّنون كلّ يوم بلون!

وهذا سيُرجعنا لأنفسنا ونقول: من الضّروري جدّا أن نُحافظ على قيمنا لأجل أنّ القيم كالتّمهيد لمسألة الإيمان، يعني الّذي عنده قيم؛ يُتصوّر بأن يكون له إيمان، يعني أرض خصبة للإيمان.

مدارسة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٢_١٠٣) ومقارنة مظهر الصّفة الحادي عشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

سنرى كذلك من الأسباب ما هو أعظم فيما مضى سيأتينا السّبب الحادي عشر، الّذي هو عن سالفهم وليس عن معاصرهم، لكنّهم يمشون بنفس الطّريقة في المعاصر:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}[1].

طبعا واضح أنّ هذا في السّلف وليس في المعاصرين، لكن ما هو هذا الحدث الّذي يسبّب قطع الطّمع في إيمانهم؟

اشتغالهم بالسّحر، وتركهم لكتاب الله، معنى ذلك: أنّ القوم استبدلوا الحقّ بالباطل، يعني يُرضيهم مثل هذه الخرافات، وما يُرضيهم كتاب الله، والحقّ الّذي في كتاب الله.

وهذه الطّريقة اليوم في الواقع نجد مثلها: ليس شرطًا أن يكون السّحر؛ وإنّما كُتب الفلسفة! بدّلي مكان كتب السّحر أيّ كتب غير كتاب الله، وانظري كيف أنّ النّاس يشتغلون بغير كتاب الله –عزّ وجلّ– ويتركون كتاب الله؟!

مثلًا دعونا نرى: شيئًا مثل الرّوايات، ممكن يجلسون على رواية بـ٥٠٠ صفحة ولا يملّون، وفي مقابلها: صفحتان ما يقرؤوها في كتاب الله! يعني هنا صحيح أنّ المقصود اشتغالهم بالسّحر مكان كتاب الله، لكن هذه الرّواية في عقولهم أثرها أكثر من أثر السّحر من شدّة التّأثير على التّفكير!

(١) سورة البقرة: ١٠٢_١٠٣.

فالمقصد أنّ السّبب هنا: أنّ القوم بدلًا من أن يشتغل بكتاب الله الّذي نزل عليهم، اشتغلوا بالسّحر! فتركوا النّافع واشتغلوا بالباطل؛ فالّذي تكون سياسته بهذه الطّريقة أن يترك النّافع ويشتغل بالباطل؛ ضعيف الأمل في إيمانه لأنّ نفسه اعتادت الاشتغال بالباطل! وهذه طريقة في الحياة إذَا بقي الإنسان في مواطن الحقّ يشتغل بالباطل؛ سيفوّت على نفسه خيرًا كثيرًا، وضعيف جدّا الأمل في أن يصل إلى الحقّ!

لذلك كثير من النّاس حين يكبرون يندمون على فرص كثيرة مرّت عليهم وهم صغار، كانوا بهذه الفرص ممكن أن يكونوا أحسن النّاس، ويرون لهم زملاء، أو أشخاص كانوا مجتمعين معهم اهتمّوا بالحقّ وتركوا الباطل، وربّنا فتح عليهم فتحًا عظيمًا، وهم بقوا في نفس الوقت يهتمّون بالباطل ولا يهتمّون بالحقّ وكلّ مالهم يتردّى، ويتردّى، ويتردّون نفسيًّا، وتتردّى أوضاعهم.

فأين الفرق؟ الفرق في أسلوب التّفكير: الّذي يشتغل بالحقّ ويترك الباطل مهما كان الحقّ فيه صعوبات على النّفس؛ هذا لابدّ أن تنفعه نفس طريقة تفكيره أنّه يترك الباطل ويهتمّ بالحقّ؛ والّذي يمشي على هوى نفسه ويهتمّ بالباطل ويترك الاهتمام بالحقّ لابدّ أن يُؤثّر عليه في تفكيره طول حياته بحيث أنّه يفوّت عليه فرصًا كثيرة في حياته ومن ثَمّ لا يحصل استقرار نفسي، ومن ثَمّ تفوته الفرص العظيمة، ومن ثَمّ يبعد عنه الّذي نحن نسمّيه الآن: الثّبات على الحقّ؛ لأنّه قضى جزءًا طويلًا من حياته وهو مهتمّ بأيّ شيء بالباطل! لا يشعر أنّ قلبه مكان عظيم لابدّ أن لا يُدخل إليه الباطل.

فما الشّيء الّذي منع اليهود من الإيمان؟ أنّهم يريدون فقط الشّيء المختلف؛ لأنّ السّحر يأتيهم بالأشياء المهولة ويرون فيه عجائب، في مقابل: أنّ الحقّ ليس له هذا الأثر الموجود في السّحر. فهم أين تركيزهم؟ هم فقط يريدون شيئًا غير معتاد! وهذه سياسة تجدينها الآن في المجتمع، طوال الوقت يريدون شيئًا غير معتاد، لا يريدون المعتاد! وهذا الشّيء الغير معتاد الّذي تطلبه النّفس حين يكون ماشيًا في طريق الباطل؛ لابدّ في النّهاية أن تضطرب النّفس، ويبتعد عنها النّجاح! ويبتعد عنها الفوز! ويبتعد عنها الاستقرار! ويبتعد عنها الثّبات أيضًا! فالنّفس أمانة عند أصحابها، القلوب أمانة، إدخال الباطل إليها سبب لاضطرابها على المدى الطّويل، وقطع الطّمع في الإيمان؛ فالّذي اهتمّ بالباطل وترك الحقّ لابدّ على المدى الطّويل أن يضعف الأمل في إيمانه.

سنكتفي اليوم بهذا – وإن شاء الله – موعدنا الأسبوع القادم نكمل أسباب قطع الطّمع.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء التّاسع: الخميس ٣٠ صفر ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّاني (٤٠_١٦٢)"

مراجعة ما سبق:

المقدّمة: مراجعة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٢_١٠٣).

المقدّمة: مراجعة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود (١٠٢_١٠٣)

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يفتح قلوبنا، وأن يجعل هذا العلم سببًا لزيادة حسناتنا، وارتفاع درجاتنا عند ربّ العالمين، اللّهمّ آمين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نبدأ من مكان ما انتهينا في المرّة الماضية، وكنّا في المرّة الماضية ابتدأنا بأسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود المعاصرين للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

درسنا ١١ سببًا، وكان آخر سبب درسناه هو: اشتغالهم بالسّحر وتركهم كتاب الله.

واشتغالهم بالسّحر وتركهم كتاب الله؛ سبب خطير جدّا يمنعهم من الإيمان برسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– والإيمان بالحقّ. أي لا تطمع في إيمان أحد قلبه قد اشتغل بالباطل، ومعنى هذا: أنّه عندما يتّجه شخص إلى كُتُبِ الفلسفة، فهذا يقع أيضًا تحت الانشغال بالباطل؛ لأن السّحر هنا رمز لكلّ باطل، معنى ذلك لو أنّ الشّخص تعلّم باطلًا وامتلأ قلبه به؛ فهذا يمنع تعلّمه للحقّ؛ إذَا سبق الباطل إلى القلب يضعف الأمل في تعلّم الحقّ؛ إلّا أن يشاء الله له خيرًا.

وتجد بعض النّاس في مسألة القراءة عندهم حالة من عدم العناية بقلوبهم؛ بحيث أنّهم يقرؤون كلّ ما يسقط تحت يدهم، ولا يدرون أنّه كلّما قرؤوا شيئًا باطلًا منعوا هذه المساحة من القلب من الحقّ، وكلّما قرؤوا باطلًا زادوا المساحة المانعة لهم من الحقّ.

ولذلك لو تسألين الآن: النّاس عندهم قدرات، عندهم قوّة في عقولهم، عندهم ذكاء، عندهم أدوات ترشدهم إلى الحقّ، لماذا لم يُرشَدوا إلى الحقّ؟ لماذا لم ينتفعوا من هذا كلّه؟ مع إنّ في الواقع العلم أكثر سهولة من السّنوات الماضية، من ٢٠ سنة قبل، اليوم أدلّة الإيمان أوضح بكثير من أدلّة الإيمان قبل ٢٠ سنة بسبب ما يوجد من الأدوات الّتي توصل إلى الإيمان.

ما هو السّبب الّذي يضعّف أثر الأدوات؟ أنّ القلب إذَا اشتغل بالباطل حتّى لو عُرض عليه الحقّ مثل الشّمس لا يقبله! فهم لماذا قُطع الطّمع في إيمانهم بسبب اشتغالهم بالسّحر؟ لأنّ السّحر حلّ مكان

الحقّ، والقلب مكان واحد إذَا شغلته بالباطل؛ سينصرف عن الانشغال بالحقّ، وعلى قدر ما يكون فيه جزء بسيط ليس مشغولًا بالباطل؛ فإنّ هذا الجزء البسيط الغير مشغول بالباطل يمكن أن يشتغل بالحقّ.

ولذلك عودة على ذي بدئ، والكلام حول القراءة الّتي تُعتبر عند النّاس هواية؛ فنحن بالنّسبة لنا لابدّ أن نعرف أنّ القراءة ليست هواية؛ إنّما القراءة عبادة؛ بحيث أنّك أنت حتّى لو تقرئين أيّ معلومة في أيّ مكان لابدّ أن تنتقديها، إذَا كنت مُسَلِّمَةً للكاتب على أنّه من أهل الصّلاح اقبليها، وإذَا كنت لا تعرفين مَن هو الكاتب لابدّ أن تنتقديها. لماذا؟ لأنّ القلب أمانة، والقراءة عبادة، تُدخلين على قلبك شيئا يُفسده؟ ستكون النّتيجة أن يمتنع هذا الجزء الّذي اشتغل بالباطل عن قبول الحقّ.

إذًا متى يضعف الأمل في الإيمان؟ حين يشتغل القلب بالباطل، إذَا اشتغل كلّيّته بالباطل إذًا لن تكون هناك مساحة للإيمان، وإذَا اشتغل جزئيًّا بالباطل يصير الجزء الثّاني فيه أمل، هذا الجزء حين يتوب الإنسان عن الباطل الله -عزّ وجلّ- يفتح له.

المشكلة: أنّنا نتعامل مع قلوبنا باستهتار، ونتعامل مع مسألة القراءة باستهتار أكثر، ونشعر أنّ الّذي نُدخله لعقولنا وقلوبنا يمرّ! ولا ندري أنّه يستقرّ في أعماق نفوسنا، ويؤثّر كثيرًا على قراراتنا وتصوّرنا للأمور؛ ثمّ بعد ذلك نسأل عن نفوسنا: لماذا هي ضعيفة، وليس فيها همّة لعمل الحقّ؟ وضعف الهمّة لعمل الحقّ أثر تسمّم القلب!

وهذا مثل صحّة البدن، النّاس حريصون جدًّا على أن يأكلوا ما ينفعهم، ويشربوا ما ينفعهم لأجل أن تبقى قواهم البدنيّة؛ أعظم منه: اقرأ ما ينفعك، وانظر فيما ينفعك؛ لأجل أن تبقى قواك القلبيّة؛ وإلّا فإنّه يحصل تدهور إلى أن يقبل الإنسان المُنكَر قبولًا تامًّا بعدما كان يُنكِر المُنكَر إنكار تامًّا!

إذًا

- **أخطر الأسباب الّتي تضعف الإيمان**: اشتغال القلب بالباطل.
- **ومن أهمّ وسائل اشتغال القلب بالباطل**: القراءة، وما يتبعها: السّمع، المتابعة.

بذلك نكون علّقنا على ما تيسّر لنا في الكلام حول السّبب الحادي عشر، الآن نبدأ بالسّبب الثّاني عشر:

تابع مدارسة المقصد الثّاني:

(٤٠_١٦٢)

مدارسة الأسباب العشرون

في قطع الطّمع في إيمانهم

مدارسة السّبب الثّاني عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٤)

يقول الله عزّ وجلّ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ}(١).

ما هو هذا السّبب؟ هنا الكلام للمؤمنين، كيف صار سببًا من أسباب قطع الطّمع في اليهود؟

الآية فيها أمر للمؤمنين باجتناب هذه الكلمة السيّئة، الّتي تدلّ على الاستهزاء، على الاستعلاء، وليس من طريق المؤمنين الاستهزاء بالحقّ؛ إنّما من طريق اليهود، والكافرين، وأمثالهم.

المؤمنون يتجنّبونها، وأهل الباطل يفعلونها، وإذَا فعلوها كان هذا دليلًا على أنّهم ليسوا أهلًا للإيمان.

إذًا من أسباب قطع الطّمع في اليهود أنّهم يُمارسون ما نُهي عنه المؤمنون. لكن هل نقطع الطّمع في كلّ من يفعل ما نُهي عنه المؤمنون؟ لا، إذًا ما هي الجريمة الّتي فعلوها؟ ما هو هذا المنهي عنه؟ ما مقدار الجرم الّذي يؤدّي لقطع الطّمع؟ الآن هم قالوا {رَٰعِنَا}، أين الاستهزاء في{رَٰعِنَا}؟ أنّ اليهود كانوا يستعملون هذه الكلمة يقصدون أنّها من الرّعونة، **بمعنى**: سبّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! **هذه هي المشكلة الكبيرة**: سبّ النّبيّ، واتّهامه –صلّى الله عليه وسلّم– بما لا يليق بالرّجل الكريم فكيف بالرّسول؟!

المسألة الأساسيّة **هي**: التّجرّئ على سبّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ولو بطّريقة ملتوية، ولو بطريقة غير مباشرة، **إذًا** سبّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أو الدّين، هذا سبب للارتداد عن الدّين، **يعني** الّذي يسبّ الدّين ولو بالنّكتة؛ يُصبح مقطوع الطّمع في إيمانه؛ لأنّ الدّين عظيم، والرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– عظيم، والله –عزّ وجلّ– عظيم في نفوس المؤمنين، وكلّ ما يحيط بالدّين عظيم، فكون أنّ الإنسان يتجرّأ ولو بالمزاح والاستهزاء على باب الدّين، أو على الرّسول الكريم، **فهذا معناه**: أنّه ليس هناك إيمان في قلبه، فلا يقول: (لم أكن أقصد)! أو (الكلمة لم أكن أعرف بُعدها)! فليس هناك أيّ كلام من هذا! لأنّهم هنا ما صرّحوا بالسّبّ، بل قالوا: {رَٰعِنَا} الّتي تحمل معنيين:

- {رَٰعِنَا} من الرّعاية.
- و{رَٰعِنَا} من الرّعونة.

(١) سورة البقرة: ١٠٤.

ومع ذلك المؤمنون نُهوا أن يقولوا: {رَٰعِنَا} لأنّها محتمِلَة للاستهزاء والسّبّ! لأنّها محتملة فقط! وفي حياض[١] الدّين ممنوع حتّى الاحتمال.

والسّبب واضح جدّا: أيّ شيء عظيم داخل نفسك لا يمكن ولو بالخطأ أنّ تمسّه؛ لأنّ هناك حاجزًا كبيرًا في داخلك تجاهه، لكن حين تقلّ عظمة الشّيء، يحصل الاستهزاء.

مقارنة مظهر الصّفة الثّانية عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

الآن ما هو الشّاهد الّذي نريد أن نصل له: أنّ هذا السّبب لم يُخاطَب به، أو لم يُوصف به بنو إسرائيل؛ إنّما خُوطب به المؤمنون؛ لأنّ المشابهة الغير المقصودة في هذا الباب خطيرة، فلذلك جاء هذا السّبب بخطاب المؤمنين وليس بوصف اليهود.

وعلى ذلك فإنّنا سنرجع مرّة أخرى: النّاس الّذين يعيشون الحياة: (ضحّكني! وضحّكوني! ودعونا نشاهد شيئًا يضحّكنا! ونضحك!) من السّهل جدّا أن تزلّ قدمهم، ويرون أحدًا يستهزى بالدّين، ويقبله منه، ولا يشعرون في أنفسهم بشيء! وحين يأتي فقط بكلمة كبيرة واضحة عن الدّين، عندها ممكن يتحرّك قلبهم! لكن الكلام الملتوي الّذي يبدأ بالكلام عن سورة في القرآن، وبعد ذلك يستهزئ بها، أو المصلّي كان يقرأ سورة وقال كذا! كلّ هذا عادي بالنّسبة له.

ونحن سنعيد مرّة أخرى: الاستهزاء بالدّين ردّة عن الدّين وليس هناك عذر أنّه: (لم يكن قصدي) لأنّ الاستهزاء لا يخرج إلّا من نفس ما وضعت التّعظيم حاميًا للدّين، وهذا هو الإشكال!

إذًا: الّذي يستهزئ بالدّين، ما مقدار طمعنا في إيمانه؟ الأصل أنّنا لا نطمع في إيمانه، إلّا أن يشاء الله به شيئًا. لكن الّذي تكون هكذا نفسيّته، وهذا أسلوبه في التّفكير؛ هذا لا يُطمع في إيمانه.

وكلّ هذه الأسباب الّتي نسمعها؛ إنّما هي لوصف النّفسيّة الفاسدة؛ لأجل أن تتصوّري كيف هي النّفسيّة الفاسدة، الّتي لا يأتي الكلام، والنّصح، والإرشاد، معها بنتيجة! وحين تسمعين عن اليهود أنّ هذه هي أسبابهم، وهذه هي حالتهم؛ لا تتصوّري بأنّه فقط خبر تاريخيّ عن حالة اليهود، إنّما تسمعين عن اليهود كوصف لنفسيّة فسدت.

---

(١) حِيَاضِ الدِّينِ: قِيَمِهِ وَشَرِيعَتِهِ.

ما هو المطلوب منّا؟ أن نُربّي أنفسنا، ونصلحها، ونبتعد عن هذه الأحوال؛ ومجرّد أنّك تجدين صورة من هذه الصّور داخل نفسك، معناها: لابدّ أن تحرصي، وتبذلي، وتستعيني، وتدعي ربّنا أن يُصلح قلبك، وإلّا فإنّ مجرّد وجود مؤشّر من هذه المؤشّرات؛ معناها: مع الزّمن إذَا سكتّ عنه؛ سيتضخّم، وبعد ذلك تزلّ القدم، ويضعف الإيمان! -نسأل الله أن يحفظنا جميعًا- وبعد ذلك ترين ما ترين من الارتداد عن الدّين!

فالآن لو تريدين تفسيرًا لظاهرة الإلحاد الموجودة في المجتمعات الإسلاميّة بناء على ما مرّ معنا؛ تقولين: ظهرت أسباب لقطع الطّمع في الإيمان في نفسيّاتهم؛ فتركوا هذه الأسباب حتّى نمت، وتضخّمت، وأفسدت، وأبعدت، وأخرجت من الدّين!

وحين تنتهون من سورة البقرة -إن شاء الله- وتستفتحون آل عمران؛ ستجدون أنّ {ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ}(١) {رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا}(٢) يعني لا يوجد أحد في يده صكّ أنّه ثابت! والّذي عنده شعور بهذا؛ لابدّ أن يستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم، الّذي عنده مشاعر بأنّه لن تزلّ قدمه؛ لابدّ أن يستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم، ويطلب من ربّ العالمين كما كان يطلب الرّسول الكريم: (يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)(٣) وكان هذا الدّعاء ما يتركه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في يومه وليلته؛ لأنّ هذه النّفس تتقلّب، والقلب ما سُمّي قلب إلّا لتقلّبه.

المهمّ دائمًا ضعوا أمامكم: هذه العشرين سبب الّتي تقطع الطّمع، وتصوّروا هذه النّفسيّات، واحذروا، وادعوا، واسألوا الله، واستعينوا بالله أن نخرج من مثل هذه الأوصاف، ولا تظنّي أبدًا أنّها أوصاف بنو إسرائيل خاصّة بهم ذُكرت لوصفهم وما ذُكرت لوعظك! وإلّا فإنّه ليس هناك معنى لأن تقولي في الفاتحة: {صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ}(٤) إذًا أنت تقولين: {ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}(٥) وتخافين من الطّريقين؛ لأنّ أيّ زلّة قدم تُدخلك فيها!

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ٨.

(٣) أخرجه التّرمذيّ (٣٥٩٨).

(٤) سورة الفاتحة: ٧.

(٥) سورة الفاتحة: ٦.

مدارسة السّبب الثّالث عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٥_١٠٨)

ومقارنة مظهر الصّفة الثّالثة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (١٠٥) مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}(١).

- **السّبب الحادي عشر كان:** اشتغالهم بالسّحر.
- **والسّبب الثّاني عشر كان:** استهزاؤهم بالمسلمين، كانوا يلتوون من أجل أن يشفوا صدورهم فيستهزؤوا بالمؤمنين!

نأتي الآن للثّالث عشر:

ظهر هنا في هذه الآيات أحد آخر غير اليهود؟ من هو؟ {مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} إذًا هذا الاسم العامّ الّذي سيجمع بين أهل الكتاب الّذين هم اليهود والنّصارى، والمشركين. إذًا السّبب الّذي سيُذكر الآن وإن كان سببًا في قطع طمع المؤمنين في إيمان بني إسرائيل، لكنّه يُشير إلى اشتراك بني إسرائيل، مع المشركين، مع النّصارى، في هذه الصّفة. ما هي هذه الصّفة؟

لاحظي: فعل (يودّ)، وهم مَنْهِيٌّ عنهم هذا الفعل: {مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ} ما يودّون ماذا؟{أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ}، {مَّا يَوَدُّ} بمعنى: لا يحبّون، **يعني** يكرهون. يكرهون الخير لكم، يكرهون {أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم} من ربّكم خيرًا.

ما سبب كراهية أن يُنزّل الخير عليكم؟ ممكن أن يكون حسدًا، وهذه أوّل إجابة تتبادر للذّهن؛ أنّه عندما ينزل عليك خيرًا، وأنا لا يضرّني الخير الّذي ينزل عليك، بالعكس أنا ممكن أن نتفع بالخير الّذي

(١) سورة البقرة: ١٠٥_١٠٨.

ينزل عليك، وأنا أكرهه عليك، ماذا يكون السّبب؟ **مباشرة:** حسد! فساد في القلب. وكذلك المسألة تأتي أكبر من ذلك.

هذه المسألة تُخبر عن مرض أكبر من مجرّد الحسد، **وهو:** مرض العلوّ، ومرض العلو يجمع في داخله مصائب كثيرة: الكبر، العُجب، الحسد، **يعني** كأنّه أمّ البلاءات! وهو مرض لا يخلو منه إلّا مَنْ عالج نفسه! وطبعا **مثاله ونموذجه الكبير:** فرعون، قارون؛ ولذلك **سورة القصص** الّتي قُصّ في أوّلها قصّة فرعون، وفي آخرها قصّة قارون، انتهت في آخر سياقها: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا}[1] ولابدّ أن تفهموا ما هو العلوّ؟ لو راجعتم تفسير هذه الآية عند ابن كثير؛ ستقرؤون أنّ عليّا رضي الله عنه، قال قولًا عظيمًا في مقياس العلو، خطير جدّا، من الضّرورة أن تراجعوا كلام ابن كثير، في نقله عن عليّ رضي الله عنه.

ملخّص كلام عليّ رضي الله عنه: أنّ من العلو، إرادتك أن يكون نعلك خير من نعل صاحبك! لهذه الدّرجة! أنّك تريد أن تكون أعلى من النّاس، أحسن منهم، حتّى لو أردت أن يكون نعلك خيرًا من نعل صاحبك، وهذه كلمة عظيمة من الإمام عليّ –رضي الله عنه– تدلّ على أنّ هذا المرض متشعّب في القلوب إلّا من رحمه الله –وقليل الّذين رحمهم ربّنا– فكثير من النّاس يعيشون والمرض يترعرع ويكبر وهم لا يشعرون! كلّ شيء يساعدهم على هذا المرض، يعني كلّ يوم تسمع عن التّميّز، وعن أنّك تعلو عن غيرك، وتكون أحسن من غيرك، ودائمًا لابدّ أن تكون أحسن من غيرك!

دائمًا يأتي إشكال هنا: ورد في الحديث عن الصّحابيّ الّذي قال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (إِنّ الرّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً)[2] هل هذا هو الكبر؟ هل هذا هو العلو؟ لا ليس هذا هو المقصود!

دعونا نفكّر في العلوّ: فقط نفكّر فيه، لتتخيّلوا كيف أنّ هذا المرض عندهم، وكلّ من كانت نفسيّته بهذه الطّريقة؛ قلّما أن يقبل الإيمان:

هذا المرض: صاحبه دائمًا يقارن نفسه بغيره، هذه المسألة الأولى، يعني هو لا يفكّر في إصلاح نفسه، ولا يفكّر أن يلبس حسنًا، وينتعل حسنًا؛ لأجل أنّ الشّريعة أمرت بذلك، أو أنّ هذا هو الشّيء الطّبيعي في النّفوس، لا! يأتي يرى الّذين من حوله؛ أين وصلوا؟ وهو يعلو عليهم، يعني هي الآن تصلح

(١) سورة القصص: ٨٣.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٠).

نفسها أمام المرآة لتذهب إلى مناسبة، وهي تصلح نفسها أمام المرآة تحاول في داخل نفسها أن تفكّر في: "س"، و "ص"، و "ع"؛ ثمّ إنّه حتّى "ص"، و "ع"، ليسوا مهمّين، فقط عندها مشكلة مع "س"! فتمسك "س" هذه، وتفعل أشياء وأشياء فقط من أجلها والباقي ليس هناك مشكلة، فقط "س"، هذه هي الّتي في بالها!

فالّذي يريد العلو ممكن يصير مثل: فرعون، وقارون، يريد أن يصير فوق النّاس كلّهم! وهناك بعض النّاس متواضعين أيضًا! فحتّى إرادة العلو عندهم فقط يمارسونها على نفر واحد، أو نفران، أو ثلاثة! جماعة معيّنة، فقط هؤلاء الّذين يريد أن يصير أعلى منهم! صاحباتها، أخوات زوجها، وانظري من يتمّ اختيارهم في وسط الحياة ويصيرون هم من يُمارس عليهم العلو!

لكن في النّهاية: المريض بالعلو مشغول بالنّاس، وكلّ تفكيره أن يكون أعلى منهم! وحين تفهمين هذا لا تقولي: (هل هذا يعني ألّا ألبس طيّبًا؟!) المنهيّ عنه أن تفعلي ذلك من أجل أن تكوني أحسن من فلان وعلاّن، ودائما تريدين الأنظار ملتفتة لك، تحت الأضواء! طبعًا جاءنا الّذي يساعد على هذا، وجاء المشاهير، وكلّ هذا الكلام الّذي تسمعينه!

وكلّها تهون إلى أن تصلي أن تقولي لأحد: (أنت ماذا تتمنّى أن تكون في حياتك؟ أنت آدمي خُلقت هنا لوظيفة {وَنَفْسٍ وَمَا سَوّٰىهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكّٰىهَا}[1] بعد هذا كلّه يقول لك: (أريد أن أصير مشهورًا)! هذا مثل أن يقول أحدهم: (أريد أن أمرض بمرض السّرطان)!

فتقولي: لا يوجد أحد عاقل يقول: (أنا أريد أن أصير مريضًا بمرض السّرطان) والّذي يقول: (أنا أريد أن أصير مريضًا بمرض العلو! وأصير مشهورًا)! لماذا سكتّم ولم تشعروا بأنّه مزعج جدّا؟! لأنّ القلب ليس على البال! والأمراض القلبيّة ليست ظاهرة في التّفكير! فصارت الأمور تجري من تحتنا من دون أن نشعر بها! ونمرض ونحن لا نشعر بالأمراض!

وسنعود مرّة أخرى ونقول: إنّ أسباب قطع الطّمع وصف لنفسيّات اليهود وكلّ النّفوس الّتي تشبهها إلّا من بذل جهده لإصلاح نفسه؛ فإنّ الله يعينه، الله المستعان!

لكن المهمّ أن يكون في تفكيرنا إصلاح النّفس، ويكون في تفكيرنا الإحساس بالخطر.

(١) سورة الشّمس: ٧_٩.

المهمّ: هل رأيت هذه القبّة؟ يعني أنت تصوّري: فإنّ هذا العلو مثل القبّة الكبيرة للأمراض، ثمّ بعد ذلك تعالي لكلّ الأوضاع الّتي نعيشها: فالّذي يعيش الاكتئاب، والّذي يعيش القلق، إلى آخره، فهذه المشاكل الّتي أُفرزت في هذا الزّمان؛ **سببها الرّئيسي**: أنّ هذا المرض موجود! فالإنسان حين يشعر بنفسه أنّه لابدّ أن يكون أعلى من غيره، وبعد ذلك يفشل، ليس عنده أدوات، وهم ينجحون، وهو لا ينجح! لن يشعر بأيّ نعمة أنعم الله بها عليه أبدًا! فقط سيكون تركيزه على ما ينقص عنده ويكون عند غيره! ما الّذي لديه ناقص، وهذا بالذّات الّذي يريد أن يصير فيه أعلى منه؛ فحين لا يصير أعلى منه؛ لأنّ الله قدّر له هكذا، وأنت قُدّر لك أمر آخر؛ فماذا يصير لهم؟ اكتئاب، قلق، إلى آخر الأمراض النّفسيّة الّتي ترينها.

وانظري: كيف كان السّلف الصّالح يوصي بعضهم بعضًا؟ كانوا يقولون لبعضهم البعض: (إذا نافسوك في الدّنيا اتركها لهم، وإذَا نافسوك في الآخرة فباب السّماء واسع) يعني إذَا أنت حفظت البقرة، وهم حفظوا البقرة؛ فلن يتنازعوا فليس هناك مشكلة، باب السّماء واسع، فالمنافسة فيها واسعة، لكن باب الدّنيا هي الّتي فيها مشكلة!

وليُعلم: أنّ الأمراض النّفسيّة تبدأ بأمراض قلبيّة غالبًا! هناك أمراض نفسيّة –الله يحفظنا جميعًا– تبدأ باختلال هرموني، هذا ليس موضوعنا؛ نحن موضوعنا: الأمراض النّفسيّة الّتي تبدأ من جهة أمراض قلبيّة، يعني يكون عنده: حسد، حقد، علو، وبعد ذلك يصير اكتئاب، انفصام، ثناء القطبين، إلى آخره! تبدأ بكونها أمراضًا قلبيّة إلى أن تصبح أمراضًا نفسيّة! هذا نوع، وهناك نوع آخر، لكن وجوده أقلّ بكثير، هو الّذي يكون من اضطرابات هرمونيّة، يعني مثله مثل الأمراض البدنيّة.

المهمّ نحن موضوعنا الآن: أن تتصوّري حالة اليهود، والنّصارى، والمشركين، ما هو المرض الّذين هم مُصابون به؟ إرادة العلو، يريدون أن يكونوا أحسن النّاس؛ اليهود والنّصارى: اليهود كانوا يفتخرون على العرب، بكون أنّهم أهل كتاب، والنّصارى يفعلون هذا أيضًا.

تصوّري: بعد أن كانوا يفتخرون على العرب، ويرون أنفسهم أعلى منهم، أُوحي إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وهم يعرفون أنّ هذا الرّسول الّذي سيأتي سيكون خاتم النّبيّين، وأنّ هذا الرّسول موصوف بكذا، وكذا، من المدائح، وأنّه ليس منهم؛ فماذا سيمارسون الآن على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ العلو.

من آثار علوهمّ على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ أنّه كلّما نزل على النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– خيرًا، يكرهون نزول هذا الخير!

وهذه النّقطة كافية لأن لا يكون هناك إيمان! لأنّهم ما داموا دخلوا في منافسة مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ويريدون أن يكونوا أعلى من النّبيّ، فلن يتابعوه.

دعونا نكمل النّقاش؛ لأجل أن تتصوّروا كذلك تفاصيل كونهم ما يودّون أن ينزل على المؤمنين خيرًا من ربّهم:

الآن: الآيات (١٠٦)، و(١٠٧)، و(١٠٨)، كلّها تناقش سببًا واحدًا: مسألة النّسخ، ما علاقتها بكونهم لا يودّون أن ينزل على الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من خير؟

هم يُنكرون النّسخ، ويتّهمون الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- بأنّه ليس رسول بسبب النّسخ! وأصل المسألة عندهم أنّ دين موسى -عليه السّلام- لا يُنسخ؛ ولذلك أنكروا نبوّة عيسى، والرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- هذه أصل المسألة في تفكيرهم، أنّهم يرفضون النّسخ في دينهم، ولمّا جاء النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ونزلت عليه آيات وحصل النّسخ؛ وبعد ذلك فيما يتقدّم ستأتينا قصّة تحويل القبلة، ويتبيّن النّسخ الّذي حصل فيها. لمّا جاء نسخ في دين النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- جعلوا النّسخ سببًا لعدم الثّقة في دين النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وجعلوه طريقًا للشّبهة، والنّسخ في حقيقته خير، فالنّسخ نقل من حكم إلى حكم سيكون فيه خيرًا.

المقصد: أنّهم اعتقدوا أنّ الدّين لا يُنسخ. أنا سأبيّن لكم بكلام بعيد عن دين الله:

أنت تصوّري: لو أنت في إدارة مدرسة، وفي الإدارة نزّلنا قانونًا، وبعد ذلك حصلت تغييرات، فغيّرنا القانون، وأنت مثلًا: معلّمة، وعقلك مركّب على تفكير: أنّه إذَا كانت المدرسة مضبوطة؛ فالمفترض أن يكون قانونها ساريًا، حتّى لو كانت هناك تغييرات!!

وهذا لن نقول نوع من أنواع العقول؛ وإنّما ممكن أغلب العقول تفكّر بهذه الطّريقة: (لا تُغيّري علينا؛ اتركي القانون كما هو) مع إنّ التّغيير في المصلحة، لكنّهم لا يفكّرون في المصلحة؛ وإنّما يفكّرون في أنّ كون القانون ساريًا، هذا يجعل الأعمال في مكانها منظّمة، وأيّ خلل في القانون، أو تغيير حتّى لو كان في الصّالح؛ يعتبرونه اهتزازًا في الإدارة! ولأجل ذلك يأتون يقولون لك: (الإدارة كلّ فترة لها رأي!).

تصوّروا: هذا الكلام بالنّسبة لليهود؛ اتّهموا الشّريعة بهذه الطّريقة! يقولون: (لا! ربّنا لا ينسخ، ولا يغيّر، ما أنزله قانونًا يبقى قانونًا، ما أنزله حكمًا يبقى حكمًا؛ وإذا غيّر فإنّ هذا دليل على أنّ هناك عيب؛ والله منزّه عن العيب؛ إذًا أنت يا رسول الله لست صادق)!

هل تذكرون حين بدأت البلد في الاستخدام الإلكتروني للأمور؟ عانوا جدّا من الموظّفين القُدَامَى! الموظّفين القُدَامَى ماذا عندهم؟ (هذا هو القانون! لا تغيّروا علينا!)

فهو بنفس الطريقة هذا العقل المتحجّر الّذي يشعر أنّ أيّ نسخ في الصّالح يضرّ بالسّير، لابدّ أن تبقى ماشيًا على الخطّ المستقيم الّذي يرونه هم مستقيمًا! فهذا تفكيرهم!

الآن في الآيتين التّاليتين الجواب عليهم، قال الله عزّ وجلّ؟

{أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} كيف تكون جوابًا على اعتراضهم على النّسخ؟

الله الّذي نزّل الحكم الأوّل قادر على أن ينسخه وينزّل الحكم الثّاني. هذا أوّل ردّ عليهم.

الأمر الثّاني: {أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}؟

أليس المَلك يتصرّف كيف يشاء؟ من يُحجّر على المَلك؟ ليس هناك أحد يُحجّر على المَلك! فيتصرّف كيفما شاء، **يعني** هو {عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} وأيضًا هو المَلك الّذي يتصرّف في ملكه.

وبعد ذلك في الآية (١٠٨)؟ {كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} ما هو الرّدّ على رفضهم للنّسخ؟ هنا الرّد ضمنيّ في الآية: أنّ اعتراضهم على النّسخ يُعتبر كأنّه وصف لأنفسهم أنّهم أعلم من الله!

فصارت هناك ثلاثة ردود:

١. {ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.

٢. الله هو المَلك يتصرّف كيف يشاء.

٣. الله له العِلْمُ المطلق، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون؛ لأجل ذلك قيل لهم: {أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ} كأنّهم يسألون رسولهم: (لماذا يفعل ربّنا ذلك؟!) ما هو الجواب؟ لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، هو {عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ}[١].

لماذا نقطع الطّمع الآن فيهم؟ بسبب اعتراضهم على النّسخ، وقبل سَمِعْنَا: أنّهم ما يودّون أن ينزل على المسلمين خير من ربّهم، كلّ هذا يدلّ على أنّهم لا يحبّون المسلمين ويحقدون عليهم.

---

(١) سورة الأنعام: ٧٣.

وبذلك يكون اشترك اليهود، والنّصارى، والمشركين في هذه المشاعر: الحقد والبغض للمسلمين.

لكن لماذا يحقدون على المسلمين؟ ما هي العلّة؟ بسبب إرادة العلو، هذا هو المرض الّذي يسبّب لهم الحقد؛ لأنّهم كأنّهم في منافسة، فلا يريدون أن يعلو المسلمون عليهم.

وبعدما سمعتِ ذلك لا تقولي: (نحن خالطنا أهل الكفر، ووجدناهم طيّبين، ويحبّوننا)! الله يقول: {مّا يَوَدُّ}! وبعد ذلك حين تقرئين في سورة آل عمران والنّساء تتّضح المسألة أكثر؛ فإذَا كانت النّصوص هي الّتي تحكمك؛ فلابدّ أن تعرفي أنّه {مّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ}، لابدّ أن تعرفوا أنّ هذا باقٍ إلى قيام السّاعة.

عندما نأتي إلى آل عمران سنجد أنّ الطّائفة الّتي تبغض الخير لنا هي الطّائفة القائدة، والطّائفة القائدة كافية لو كانت لا تحبّ سيسير البقيّة وراءها بنفس الطّريقة. هكذا انتهينا من السّبب الثّالث عشر.

اشتراك اليهود، والنّصارى، مع المشركين في حقدهم وكراهيتهم للمسلمين.

مدارسة السّبب الرّابع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم

(١٠٩_١١٠)

ومقارنة مظهر الصّفة الرّابعة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٠٩) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}[1].

في الآية السّابقة كانت بدايتها: {مّا يَوَدُّ} وهنا: {وَدّ} أي أنّ هذه حالة جديدة، هذا الّذي لا يودّونه، وهذا الّذي يودّونه، هنا ماذا يودّون؟ أن يرتدّ أهل الإيمان عن دينهم. فما رأيك؟ هل هذه حالة تسمح بأن نقول لهم: تعالوا إلى الإيمان؟! لا! هم بأنفسهم يريدونك أن ترتدّ عن دينك! فكيف سندعوهم إلى الإيمان؟!

(١) سورة البقرة: ١٠٩_١١٠.

وكذلك الآيات حكت لنا أمام هذا الّذي يودّونه، نحن ماذا علينا أن نفعل؟ هذا ستجدينه في كلّ زمان أنّ أهل الكفر يودّون لو أنّك ارتددّت عن دينك، ويجعلك النّاس تشعر: (أنت من حتّى يهتمّون بك! ويبقون يفسدون لك دينك؟!).

سنرجع مرّة أخرى نقول: إنّ إرادة العلو تجعل الإنسان يبذل جهده في إخفاء كلّ من له قيمة، بمعنى: إمّا أنّكم تكونون أتباعًا لي، أو تختفي ملامحكم وهويّتكم الخاصّة!

ولذلك أنتم ترون الآن: العولمة، كانت أكثر شيء تحرص عليه أنّه ما يكون هناك هويّة خاصّة حتّى في اللّباس؛ بحيث أنّه تصير هناك ملابس عالميّة، أينما ذهبت وجدت النّاس يشبه بعضهم بعضًا في اللّباس؛ فلا يُمَيّز أهل الإيمان عن أهل الكفر، لا في مظاهرهم، ولا في مخابرهم!

فإذًا عندما تفهمين هذا: تعرفين أنّهم مشغولون بك بسبب المرض الّذي في قلوبهم، الّذي هو إرادة العلو، تفرض عليهم أن يكون النّاس أتباعًا له؛ هو الّذي يكون من فوق والنّاس يكونون أتباعًا له! وإذَا لم يكونوا أتباعًا له فإنّه يسحقهم! أهمّ شيء ينزع منهم هويّتهم الخاصّة؛ ويفتخرون بأن يكونوا منتسبين له.

فهذا المرض لابدّ أن تعرفوا: أنّه متجذّر عند أهل الكفر؛ ولذلك فإنّهم يبذلون جهودهم ويخطّطون لإفسادك؛ فالله -عزّ وجلّ- يقول: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم} فإنّ هذا الأمر فيما مضى، وفيما يكون بعد ذلك.

وهناك شيء مهمّ لابدّ أن تنتبهي له في الآية: {مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ} يعني هؤلاء الحريصون على التّخطيط لإفسادك، يعرفون أنّك على الحقّ، لكن أنت الّتي تظنّين أنّهم لا يعرفون! ولا تعرفين بأنّهم يبذلون! يتمتّعون بالتّخطيط لإفسادك!

فإذًا ما هو المطلوب منّا الآن:

الوصيّة الأولى: لا تشغل نفسك بهم: {فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ} أي لا تشغل نفسك بهم، وليس كلّما اجتمعنا نقول: (يخطّطون لنا! ويخطّطون لنا!) فقط اعرفي بالإجمال أنّهم يخطّطون لك. هذه الوصيّة الأولى.

الوصيّة الثّانية: خطيرة جدّا! أنا لن أشتغل بهم، وأنا أعتقد أنّ: {ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وأنّهم ما داموا يمكرون؛ فأنت لا تفكّر في المكر بهم، اتركهم؛ الله يمكر بهم، فالله يمكر بالماكرين، لا تُتعب نفسك.

فإنّ هذه قاعدة في الحياة: كلّ من يمكر بك، ويُتعب نفسه في ذلك؛ فأنت فقط وكّل الله عليه، والله – عزّ وجلّ– يمكر به ويردّ كيده في نحره، ولا حتّى تشغل نفسك به، ولا حتّى تُتعب قلبك معه، ولا يراك الله مشغولًا عن طاعته به.

ولأجل ذلك انظري: الآية الّتي بعدها مباشرة: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ} هذه الآية موقعها عجيب جدّا جدّا! نحن الآن في الكلام عمّن يكرهوننا، ويحاربوننا، ويضرّوننا، **ومع ذلك يُقال لك** اتركيهم، لا تنشغلي بهم، فأنت تنشغلين بالوظيفة الّتي خُلقت من أجلها، وأمّا هم فإنّ الله هو وكيلك عليهم: {إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.

وهذا القانون مع أهل الكفر والفساد والإفساد، يعني سواء كانوا منافقين أو كفّارًا، وحتّى في الحياة الخاصّة؛ الإنسان يَلْقَى في حياته مسلمين لكن الشّيطان أخذهم كلّ مأخذ، ليس هناك مشكلة حتّى لو كانوا إخواننا، وحتّى في قتل المسلم للمسلم وأحكامه تجد هذا موجود.

نحن سنتكلّم عن هذا الوضع: الّذي ممكن أن يدخل فيه أيّ إنسان بسبب أنّ الشّيطان أزّ[1] به، وهذا الشّخص الآن لا يريد لك الخير، وأينما وُجدت وأينما كُنت ضرّك وحاول أن يمكر بك! ما هي الخطّة؟ **الخطّة**: {فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ} ولكن قلبي لا يقدر! {فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ} لأجل أن لا تنشغل به؛ لأجل أن لا تُضيّع وقتك معه؛ لأنّ الله ينظر إلى قلبك فلا ينظر إليه وهو مشغول بهؤلاء، **وأنت** كن مطمئنًّا بأنّ الله يمكر بالماكرين، وحتّى لا تتعب نفسك وتدعي عليه، لا تتعب نفسك **وإنّما قل**: (اللّهمّ امكر بمن يمكر بنا) فقط!

المهمّ: لا ينظر الله إلى قلبك وأنت تارك ذكره وشكره والاستعداد للقائه ومشغول بهذا وهذا.

المشكلة: أنّ الشّيطان لن يتركك، وسيوسوس لك! **فأنت ماذا تفعلين**:

أوّل الحلول: {أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} اشتغل وأنت واقف بين يدي الله بأن تُقيم الصّلاة، ولا تفكّر في أيّ شيء آخر {وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ}.

(١) شرح معنى (أزّ) في معجم المعاني الجامع _ أَزَّ: (فعل)، أزّ، يَؤُزّ، أَزًّا: تحرك واضطرب، **أَزّ الشيءَ**: هَزّهُ وحرّكه شديدًا، **أزّ الرّجلَ**: أغراه وهيّجه وأثاره وأزعجه بصوت: تغريهم بالمعاصي، **أَزّ بينهما**: أغرى.

وانظر ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ {خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ}[1] ليس مطلوب منك أن تواجههم، وتقنعهم، وإنّما أعرض عنهم، لا تدعهم يأخذون وقتك، ويشغلون قلبك، **لكن نحن مشكلتنا:** أنّنا سريعو التّأثّر؛ فأيّ كلمة تأتينا تشغل قلبنا!

فإنّ العيب العظيم: أنّ الله ينظر إلينا، ونحن مشغولون بالأحقاد! {أَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ} لأجل أن تُسهّل على نفسك.

على كلّ حال؛ نحن نريد أن نفهم: أنّ هذه الآيات منهج عظيم، في اتّقاء أهل الكفر وأهل الشّرك، وكذلك في اتّقاء من يمكر بنا في الدّنيا؛ **بحيث:** أنّك لا تشغل نفسك أبدًا بعقوبتهم، ولا تشغل نفسك بالتّدبير لهم، ولا بالمكر لهم؛ فقط وكّل أمرك لله.

الآن نحن انتهينا من السّبب الرّابع عشر الّذي **هو:** رغبة الكثير منهم أن يردّوك بعد إيمانك {كُفَّارًا}.

مدارسة السّبب الخامس عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٤)

ومقارنة مظهر الصّفة الخامسة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

وصلنا إلى السّبب الخامس عشر:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰۤ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}[2].

ما هو هذا السّبب؟

سبب مشترك بين اليهود والنّصارى، **وهو:** زعمهم بأنّ الجنّة خالصة لهم! أنّه {لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ}: اليهود يقولون: (لن يدخل الجنّة إلّا يهوديّا)! والنّصارى يقولون: (لن يدخل الجنّة إلّا نصرانيّ)! والجواب عليهم: {تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ} هذا كلامهم، مَنْ هو الدّاخل للجنّة؟ ما وصفه؟

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة البقرة: ١١١_١١٢.

{بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ}: هؤلاء هم من سيدخلون الجنّة. أنت لا تنسي أنّ هذا سبب لقطع الطّمع، فكيف يكون سببًا لقطع الطّمع؟ الّذي يرى نفسه أنّه داخل للجنّة هل تقولين له: (تعال أدلّك كيف الدّخول للجنّة)؟! لا، لأنّه يرى أنّ الجنّة في جيبه؛ فَمِنْ ثَمّ هو لن يقبل منك أيّ دعوة! **يعني**

- أنتم عند كلّ سبب لابدّ أن تعيدوا: لماذا هو سبب لقطع الطّمع في إيمانهم؟
- ومن هذا أنتم تتصوّرون: عندما تريدين أن تعلّمي أحدًا، فيقول لك: (أنا فاهم! وأنا متعلّم! وأنا الأمور واضحة عندي! وأنا حافظ للقرآن! وأنا درست تفسيره!)! وكلّما أردتِ أن تقولي له شيئًا؛ يقول لك: (أنا! وأنا!)! هل هذا سيتعلّم؟!

لا! **وهذه هي المشكلة الّتي تحصل لنا**: يكون لا يفقه من الكتاب ما يجب أن يفقهه! لا يعرف عن الله ما يجب أن يعرفه، وهو يشعر في نفسه أنّه من الفاهمين! فيصبح هذا حاجزًا عن الدّعوة، يمنعك من أنّك تدعو؛ هذا وهو مسلم! فكيف باليهوديّ أو النصرانيّ وهو يرى نفسه أنّه في الجنّة؟! تقول له: (تعالى إلى الإسلام!) بينما هو يرى الجنّة من طريقه وليس من طريقك! لأجل ذلك فإنّ هذا سبب لقطع الطّمع في إيمانهم. هكذا انتهينا من خمسة عشر سببًا.

مدارسة السّبب السّادس عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم

(١١٣)

ومقارنة مظهر الصّفة السّادسة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ}[١].

ما هذا السّبب الّذي يجعلنا نقطع الطّمع فيهم؟ الصّراع الحاصل بينهم، يعني كلتا الطّائفتان ماذا تفعلان؟ كلّ منهما تطعن في الأخرى في كونها على الهداية! والله -عزّ وجلّ- بيّن شيئًا مهمًّا جدًّا يجعلهم ممتنعين

(١) سورة البقرة: ١١٣.

عن الإيمان؛ فإنّ هذا السّبب يجعلهم ممتنعين عن الإيمان، يعني طعن بعضهم في بعض وهم يتلون الكتاب دليل على أنّهم لا يفقهون الكتاب أبدًا، لا يفقهون الخطاب، يعني الصّراع الّذي بينهم على الحقّ {وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ}؛ يدلّ على أنّهم ليسوا طُلّابا للحقّ؛ إنّما طُلّابا للدّنيا.

ما هو الصّراع الّذي بينهم؟ {وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ} لأنّهم يعتمدون على قول: أنّ دين موسى لا يُنسخ؛ وَمِنْ ثَمّ فإنّ عيسى -عليه السّلام- ليس بنبيّ! والنّصارى يقولون: إنّ اليهود ليسوا على شيء لأنّ عيسى أتى فأذهب دين موسى! **فهذا خطأ، وهذا خطأ**: دين عيسى -عليه السّلام- أتى مكمّلا لدين موسى -عليه السّلام- مع اتّفاق كلّ الأنبياء على الأصول، **يعني** الأركان الخمسة في الإسلام، والأركان السّتّة في الإيمان، هذه مُجمع عليها جميع الأنبياء. ويقولون هذا الكلام، وهؤلاء يتلون الكتاب وهؤلاء يتلون الكتاب، بمعنى: أنّ الكتاب أمامهم والحقّ أمامهم؛ ومع ذلك فهم يتصارعون هذه المصارعة! يعني أتباع عيسى يقرؤون في كتابهم أنّه أتى مكمّلا لدين موسى، وأتباع موسى يقرؤون في كتابهم أنّه سيأتي بعده نبيّ ورسول.

كلا الطّرفين معه كتاب فيه الحقّ؛ ومع ذلك فإنّهم يتصارعون! **معنى ذلك أنّهم** يتّبعون الهوى. **يعني** إذا كانوا كلّهم من بني إسرائيل، والأنبياء كلّهم من بني إسرائيل، وهذا الصّراع بينهم! كيف وأنت نبيّ عربيّ خارج هذه الدّائرة كلّها، هل سيقبلون منك؟! لن يقبلوا منك! فإذًا هذا سبب قويّ لقطع الطّمع، **يعني** إذَا كان هذا مسلكهم مع من كان من بني جنسهم وممّن ينتصرون له، فكيف سيفعلون معك؟!

وهذا مثله: عندما تجدين بنت عاقّة لوالديها، ثمّ بعد ذلك تقول: (أريدها أن تأتي تشتغل معي)؛ فإنّك تقولين: (إذا كانت هذه عاقّة لوالديها، ولا تسمع الكلام، وهم أُولِي النّعمة لها؛ من باب أولى أنّها عندما تشتغل معي؛ فإنّها ستمرّ فترة من الزّمن وهي ساكنة، هادئة، وبعد ذلك ستعصيني كما كانت المعصية سهلة عليها لوالديها!) فهذا هو المعنى: أنّهم ما داموا يتلون الكتاب، ويعرفون الحقّ؛ ومع ذلك يتصارعون مع بعضهم، فمن باب أولى أنّهم يفعلون هذا مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأنّهم ليسوا طُلّابًا للحقّ! وهذه هي الصّفة المهمّة! فإنّ الّذي لا يطلب الحقّ ستظهر صفته، فمهما عرضت عليه الحقّ؛ فإنّه لن يقبل!

فمن أجل ذلك عندما تفكّرين في نفسيّتهم لا تتصوّري: أنّ الإنسان يكون غير قابل للحقّ في موطن ما، وعندما يتغيّر الموطن سيصبح قابلًا للحقّ! لا! فإنّ الّذي تكون صفته أنّه غير قابل للحقّ، مهما شعر أنّه في موطن آخر سيقبل الحقّ؛ لا! بل ستبقى هذه الصّفة موجودة فيه، متمسّكًا بها، بدون أن يشعر!

فمن أجل ذلك فإنّ المواقف الّتي تمرّ علينا من المفروض أنّها تكشفنا! أنّنا مثلًا: لا نقبل الحقّ، أنّنا ننتصر لأنفسنا، أنّنا نأخذ بالحقّ حينما يُناسب هوانا؛ لأنّه أوّل ما تكتشفين نفسك بهذه الطّريقة، لا تشعري أنّه بسبب فلان أو علاّن، لا، لا، **وإنّما معناها:** أنّ هذه هي صفتك؛ ومن ثَمّ فإنّه في أيّ موطن سيحصل أنّك لا تقبلين الحقّ؛ **فأوّل مرّة تكتشفين فيها نفسك:** أنّك تنتصرين لهواك، ولا تقبلين الحقّ؛ **لابدّ مباشرة:** أن ندعي، ونسأل الله، ونطلب طهارة القلب؛ لأنّ هذا الاكتشاف من نعمة الله، والّذي تكون حالته هنا؛ فإنّها ستكون حالته في كلّ موطن بهذه الطّريقة، متى يقبل الحقّ؟ عندما يوافق هواه! متى لا يقبله؟ عندما لا يوافق هواه! فمتى ما وافق الهوى فإنّه سيقبل! فلا يقول عن نفسه: (أنا أقبل الحقّ بدليل أنّني في موقف كذا وكذا حصل لي كذا) انظري إلى العوامل الأخرى؛ إذَا قبلت الحقّ من أجل الهوى؛ **معناها:** أنّ هذا هو طبعك؛ إذَا اكتشفت هذا ستدعي ربّنا، أمّا إذَا تغافلت عن نفسك **فهذا معناه:** أنّ المرض سيبقى متحكّمًا فيك، ولن تقبل الحقّ إلّا إذا وافق الهوى!

كيف يمكن التّخلّص من هذا الأمر؟

الأصل في هذا الأمر: السّؤال والدّعاء والرّجاء؛ وهذا هو معنى دعائك: {ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}[١] الّذي تطلبينه طوال الوقت من ربّنا؛ فالله –عزّ وجلّ– يريد من عباده أن ينتبّهوا لقلوبهم، ويطلبون صلاحها: {وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا}[٢] وبداية التّزكية أن تعتني بقلبك، وتطلبي أن تحصل لك التّزكية، وتسألي الله –عزّ وجلّ– أن يدلّك، ثمّ بعد ذلك هذه الطّرق الّتي تصل بك إلى تزكية النّفس – كما مرّ معنا سابقا –: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} يعني أسباب زيادة الإيمان.

واعلموا أنّ الصّراع موجود بين اليهود والنّصارى إلى أن تقوم السّاعة، والصّراع الّذي بين اليهود والنّصارى لا يحصل فيه اجتماع إلّا على المسلمين! لكنّ الصّراع باقٍ بينهم؛ والّذي يقرأ التّاريخ يعرف أنّ هذا ما يسمّى ب "وَعْدُ بَلفُور"[٣] أصلا من أين أتى؟ ألم يأتِ – كما يدّعون– بعد أن حرقت ألمانيا اليهود؛ وأصلًا فإنّ ألمانيا ما تركت أحدًا إلّا وأحرقته! ومن بينهم كان هؤلاء اليهود، ألمانيا كانت نصرانيّة، واليهود يهودًا، فكانوا أعداءهم، وبعد ذلك لأجل أن يغيظوا المسلمين، ولأجل أهداف كثيرة جاء وَعْدُ

(١) سورة الفاتحة: ٦.

(٢) سورة الشّمس ١_١٥.

(٣) وَعْدُ بَلفُور أو إعلان بَلفُور بيانٌ علنيّ أصدرته الحكومة البريطانيّة خلال الحرب العالميّة الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطن قوميّ للشعب اليهوديّ" في فلسطين، الّتي كانت منطقة عثمانيّة ذات أقليّة يهوديّة.

بَلفُور، وذهبوا بهم إلى فلسطين، فهكذا اتّفقوا مع بعضهم، اتّفق اليهود والنّصارى على المسلمين! لكنّهم فيما بينهم وبين بعض فإنّ الصّراع دائم.

وعلى كلّ حال فإنّ النّصرانيّة ما بقيت نصرانيّة، فعيسى -عليه السّلام- صحيح أتى لبني إسرائيل، لكن الرّومان هم الّذين أخذوا دين النّصارى؛ لأجل ذلك دخل فيه التّثليث والوثنيّة؛ فما بقيت مع بني إسرائيل اليهوديّة؛ نُزعت من بني إسرائيل وذهبت للرّومان، والرّومان أدخلوا عليها الفكر الوثنيّ.

فصار اليهود الّذين هم جنس اليهود، والرّومان الّذين سُمّوا نصارى لكنّهم في الأصل ما جاءهم عيسى؛ فبنو إسرائيل أنبياؤهم خاصّون بهم وليسوا أنبياء عامّون، لكنّها قصّة تاريخيّة طويلة في نهايتها أنّ الرّومان الّذين كانوا على الوثنيّة، وثنيّين بحيث أنّهم يعبدون الأصنام، والكواكب، والشّمس، إلخ...كانوا مجاورين لليهود؛ وبأحداث تاريخيّة طويلة أخذوا النّصرانيّة من اليهود وصارت دينًا لهم. لكن في الحقيقة ليست هذه هي النّصرانيّة الّتي نزلت؛ وإنّما النّصرانيّة الّتي نزلت أصلها التّوحيد، وهناك بقايا من النّصرانيّة الصّحيحة عند بعض اليهود.

مدارسة السّبب السّابع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١١٤_١١٥)

ومقارنة مظهر الصّفة السّابعة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ}[1].

هذه الآيات فيها خبر عامّ عن أظلم الخلق، من يمنع {مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ} لماذا يُعتبرون أظلم الخلق؟ لأنّ هؤلاء التّالين العابدين المصلّين في مكانهم غير مؤذين! لا يؤذون أحدًا، ولا يضرّون أحدًا؛ فكون أنّ الإنسان يتعدّى عليهم؛ فإنّها تكون جريمة عظيمة، معناها: هناك كراهية وبغض وصل حدّه، وصل الحدّ في الكراهية والبغض بحيث أنّ قومًا لا يؤذون أحدًا، وعابدين

(١) سورة البقرة: ١١٤_١١٥.

لربّهم، يُمنعون، وتُخرّب أماكنهم رغم أنّه ليس هناك ضرر على الخلق منهم، وهذا حصل من اليهود ومن النّصارى ومن المشركين.

أمّا النّصارى فإنّهم لمّا استولوا على بيت المقدس خرّبوه خرابًا حتّى أوصلوه أن يكون مزبلة! واليهود فعلوا هذا، لكن ليس في الموطن الّذي يرون أنّه المسجد الأقصى ومكان ما أُسري بالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وإنّما خرّبوا في مواطن أخرى أماكن عبادة النّصارى، يعني النّصارى خرّبوا أماكن اليهود، واليهود خرّبوا أماكن النّصارى، والمشركون منعوا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته الكرام من الوصول إلى البيت الحرام؛ إذًا هذا سيشترك فيه: اليهود، والنّصارى، والمشركون.

نحن سؤالنا هنا: لماذا هذا سبب من أسباب قطع الطّمع؟ لماذا يُقطع الطّمع في هؤلاء؟ لأنّ المساجد وأماكن العبادة لابدّ أن يكون عند الإنسان حُرْمَةٌ لها حتّى لو خالف أصحابها؛ **ولذلك في ديننا: في الجهاد**: أنّه لو كان هناك عابد في صومعته، **يعني** يهوديّ، أو نصرانيّ، وهم دخلوا إلى البلاد؛ لا يقتربون منه ولا يمسّوه، ليس من حقّهم، لماذا؟ تعظيمًا لشأن العبادة.

فالمقصد الآن: إذَا قوم وصل بهم عدم التّعظيم أن يخرّبوا الأماكن الّتي فيها عبادة؛ فإنّ هؤلاء يضعف أن يقبلوا الحقّ! يضعف أن يكون هناك أمل في إيمانهم.

ولذا فإنّه لابدّ أن تفهمي بأنّ هذه مسألة نفسيّة: إذَا كان الإنسان يُعظّم الله؛ فإنّه سيعظّم عبادة الله، وحتّى لو خالفهم في الدّين ورأى أنّهم على باطل، لكنّه يعرف في النّهاية أنّهم يرون أنّ هذا هو الحقّ وأنّهم يعبدون الله.

وانظري: كيف يحصل السّفه عند من يظنّ أنّه على دين الله؟ وبعد ذلك يذهب يفجّر متفجّرات عند المسجد النّبويّ أو عند المسجد الحرام!

وتفهمين: أنّ هذه الجريمة عظيمة قد كانت في القرآن دليلًا على قطع الطّمع في إيمانهم، يعني أنّهم لا يؤمنون إذَا كان من اليسير عليهم تخريب بيوت الله، وأنت إذَا كنت مجاهدًا في سبيل الله، وخرجت على راية صحيحة، وذهبت تُقاتل؛ إذَا دخلت إلى بلد؛ فإنّه لا يحقّ لك أن تدخل إلى ديرهم أو إلى معبدهم أو إلى صومعتهم الّتي هم يعبدون فيها الله! فكيف تأتي وأنت مسلم إلى أماكن العبادة وترى بأنّها قربى أن تفجّرها!

وهذا الكلام سواء كان في المسجد الحرام، أو كان في المسجد النّبويّ، وحتّى لو كان عند الرّوافض الّذين نرفض شريعتهم ودينهم، ونرفض انحرافهم، ونرفض ما هم واقعون فيه من الشّرك، لكن ما نرى أنّه يصحّ لنا أن ندخل مساجدهم ونقتلهم، ما يصحّ هذا ولو بأيّ صورة، إذَا كان ما يصحّ هذا في صومعة اليهوديّ أو النّصرانيّ فكيف يصحّ في صومعة من يشهد أن لا إله إلّا الله.

فانظري كم من الفساد موجود في التّفكير! وأسخف من هذا، ولكي تتصوّري كيف أنّ العلمانيّة تفتح في قلوب النّاس فجوات عظيمة: أنّه يأتي طفل يلعب أحد ألعاب الفيديو وبعد ذلك يكون من أجزاء اللّعبة أنّه يفجّر مسجدًا أو صومعة وهو يلعب، فيهون عليه في الصّورة الذّهنيّة أن يفجّر هذا، **يعني** هل تعرفون كيف عندما يحاولون أن يمحوا عن الأشياء قدسيّتها ولو بلعبة؟! فالمهمّ أن يصلوا أن يمحوا عن الأشياء قدسيّتها! فحين يأتي أحد يقول: (هذه لعبة!) نقول: إنّ هذا مثل الاستهزاء هناك! فالنّتيجة واحدة: أنّهم يريدون أن لا يبقى هناك شيء مقدّس! لا دين! لا قرآن! لا مساجد! لا عائلات! لا آباء! لا أمّهات! يُذهبون بالقدسيّة عن الحياة الإسلاميّة الهويّة الخاصّة بحيث أنّه في النّهاية يصبح الإنسان مسخًا ليس هناك شيئًا مهمًّا إلّا الأكل، والشّرب، والنّوم، مثله مثل الأنعام {بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ}[1]!

فإذًا اتّضح لنا هذا السّبب الّذي يمنعهم من الإيمان: سعيهم في تخريب بيوت الله.

مدارسة السّبب الثّامن عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١١٦_١١٧)

ومقارنة مظهر الصّفة الثّامنة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ}[2].

انظروا: كم ارتكبوا من جرائم:

- الجريمة الأولى: أنّهم يخرّبون مساجد الله.

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١١٦_١١٧.

تأتي جريمة أعلى من ذلك يشتركون أيضًا فيها، **وهو قولهم**: إنّ الله اتّخذ {وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ}! وهذه جريمة تمنع من الإيمان؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سيدعوهم إلى التّوحيد؛ وهم عقيدتهم الشّرك! يعني هذا الكلام الآن يُقال عن اليهود ويُقال عن النّصارى، والمشركون أصلًا عندهم أنواع الشّرك الّذي يشركون به، معنى ذلك: أنّ هؤلاء كلّهم يجتمعون في جريمة واحدة، ما هي هذه الجريمة؟ الشّرك، الّذي هو ضدّ التّوحيد، وأكثر شيء الشّيطان حريص على تثبيته، وحريص على إيجاده في النّفوس، وحمايته وإحاطته؛ هو: الشّرك، فحين يأتي الرّسول ويأمر النّاس بالتّوحيد، وهم متمسّكون بشركهم، خاصّة وهم يعتقدون بأنّ له ولد! تعالى الله عمّا يقولون! فهذا ممّا يقطع الأمل في إيمانهم؛ لأنّهم لو اليهود والنّصارى باقون على دينهم الأساسي الّذي هو التّوحيد كان الأمل في إيمانهم أكبر، لكن لمّا فسد الأمر لدرجة ادّعاء الولد لله -عزّ وجلّ- فتغيّر جذر الدّين، يعني جذر اليهوديّة عن الإسلام؛ لأنّ اليهود أصبحوا هكذا محسوبين من أهل الشّرك، مثلهم مثل النّصارى، ومثلهم مثل المشركين.

وهذه طائفة منهم وليسوا كلّهم ادّعى الولد لله -عزّ وجلّ- وقال: {عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ}[1] فهؤلاء ادّعوا الولد لله -عزّ وجلّ- ولذلك كان هذا السّبب كافيًا لقطع الطّمع في إيمانهم؛ لأنّ الشّيطان يحجز بني آدم بالشّرك عن التّوحيد، ويُعظّم حِمَى الشّرك حتّى يصعب على أهل الشّرك -إلّا أن يشاء الله بهم خيرًا- أن ينتقلوا من الشّرك إلى التّوحيد.

وانظري اليوم: لمن يجعلون النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أو يجعلون عليًّا، بمنزلة الله! تجدين من الصّعوبة بمكان عرض التّوحيد عليهم، إلّا أن يشاء الله بهم خيرًا.

إذًا سيكون هذا السّبب الثّامن عشر، **وهو**: اشتراكهم في الجهل بالله خاصّة في نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة التّوبة: ٣٠.

مدارسة السّبب التّاسع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١١٨)

ومقارنة مظهر الصّفة التّاسعة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ}(١).

فإذًا ما هو السّبب؟ **قولهم**: {لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ} فجعلوا شرطًا للإيمان أن يكلّمهم الله، وتصوّري هذه النّفسيّة الآن: الّتي تعتقد أنّ الله محتاج إلى إيمانهم، وليسوا هم المحتاجون! وكأنّهم يقولون: (إذَا يريدنا الله أن نؤمن فنحن ليس لدينا مانع، لكن يكلّمنا! يقول لنا! ونحن سنؤمن مباشرة)! **يعني** هم ليسوا معتقدين بأنّ الله هو الغنيّ وهم الّذين يحتاجون إلى العبادة! وأنّهم إن آمنوا فقد آمنوا لمصلحة أنفسهم، وإن لم يؤمنوا فإنّما الأمر عليهم وليس لهم، فهذه النّفسيّة لابدّ أن تفهموها جيّدًا!

مثلما يذاكر ولدك وبعد ذلك يقول لك: (ذاكرت لك! نجحت لك!) فأنت ستقولين له: (ولكن أنا ذاكرت ونجحت وأتممت يا بني! إن ذاكرت فإنّما تذاكر لنفسك! لن ينتفع أحد إلّا أنت!) **فبنفس هذه الطّريقة**: وبنفس هذه النّفسيّة الّتي تعتقد أنّ الاستقامة والدّين؛ إنّما المصلحة فيها عائدة لربّ العالمين! والله الغنيّ عن عباده كلّهم، ولو شاء أبدلهم جميعًا، والملائكة الكرام في السّماء عابدة، طائعة، لا تعصي أبدا! والخير عائد على من عَبَدَ. وكيف ما يعود الخير على من عَبَدَ؟! فهو ضعيف في الدّنيا لا يدري أين يتوجّه! إذَا ما كان آمن بربٍّ رحيمٍ كريمٍ، وصمد إليه في كلّ حال، وطلب منه في كلّ وضع ضاع! فالمصلحة عائدة على العابدين، السّائلين، الرّاجين، المحتاجين.

تكون مسألة كبيرة في العقل لو ظنّ العابد أنّ عبادته؛ مصلحتها تعود إلى ربّ العالمين! يصير هذا من أغبى النّاس! لأنّ الله هو: {ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ}(٢) فأنت التّائه الّذي تحتاج صمدًا تلجأ إليه في كلّ وقت، فحين تُرشد كيف تكون قويًّا طائعًا بالغًا مرادك، تُرشد كيف تمشي على الصّراط المستقيم ولا تضيع، تصير المصلحة لهذا العابد.

فهم يرون أنفسهم أنّهم إذَا آمنوا؛ ستكون غاية الأماني! فقالوا: {لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ} وانظروا بعد ذلك كيف وصفهم الله؟! {لَا يَعۡلَمُونَ} ماذا؟ كلّ الّذي تبغيه من الجهل ألصقيه فيهم: {لَا يَعۡلَمُونَ} عظمة

(١) سورة البقرة: ١١٨.

(٢) سورة محمد: ٣٨.

الله! {لَا يَعْلَمُونَ} حقارة أنفسهم! {لَا يَعْلَمُونَ} حاجاتهم! {لَا يَعْلَمُونَ} أنّهم ضائعون! {لَا يَعْلَمُونَ} أنّ المصالح عائدة إليهم! {لَا يَعْلَمُونَ} أنّهم في غاية الحاجة لعبادة الله! {لَا يَعْلَمُونَ} حقيقة أنفسهم! {لَا يَعْلَمُونَ} الدّنيا ولا حتّى الآخرة! لأنّ هؤلاء ليست الآخرة فقط الّتي لا يعلمونها فحتّى الدّنيا لا يعلمونها! ويظنّون بأنّهم بأيديهم سيأتون بالمصالح! وسيبقون يجرون ويجرون ولن يجدوا إلّا الآلام النّفسيّة والبدنيّة وستخيب مساعيهم بسبب أنّهم {لَا يَعْلَمُونَ}!

إذًا ماذا قالوا؟ {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ}: {ءَايَةٌ} يعني آية تدقّ بابهم تقول لهم: (هيّا آمنوا!) هل هذا سمت اليهود والنّصارى فقط والمشركين؟ لا، ولكن كلّ الّذين من قبلهم {كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم} **معناها**: أنّ النّاس عندما ينسون أنفسهم ولا يعرفون حقيقة أحوالهم؛ تكون حالتهم بهذه الطّريقة: أنّهم يظنّون أنّ إيمانهم ينفع الله! ينسون أنّ الله غنيّ عنهم!

فإذًا يصبح السّبب: اشتراكهم في التّوقّف عن الإيمان بالرّسل حتّى يكلّمهم الله!

لماذا أرسل الله إليهم رسولًا إذًا؟! عندما يأتون ويجعلون شرط الإيمان أن يكلّمهم الله، **معنى ذلك**: أنّه ليس هناك مصلحة من إرسال الرّسول! يرون أنفسهم أنّهم فوق أن يكلّمهم الرّسول، وهذه المشاعر طبعًا تأتي من الكبر! ومن العلو!

بذلك نكون انتهينا من السّبب التّاسع عشر، بقي لنا السّبب الأخير:

مدارسة السّبب العشرين من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم

(١١٩_١٢١)

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ (١١٩) وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ}[1].

(١) سورة البقرة: ١١٩_١٢١.

هذا السّبب واضح جدّا: أنّ اليهود والنّصارى سيرضون عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-إذا اتّبع ملّتهم، **معنى ذلك**: أنّه كيف ستدعوهم إلى الإيمان، وهم شرط رضاهم أن تتّبع ملّتهم؟! معنى ذلك لن يحصل منهم الإيمان!

هذا الكلام إلى الآية (١٢٠) واضح. بقيت فقط الآية (١٢١) تُغلق علينا أسباب الطّمع في إيمانهم. عندنا عشرون سببًا يجعل الأمل في إيمانهم ضعيف جدّا، لكن الآية (١٢١) تقول لنا خبرًا آخر: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} هنا الكلام عن المؤمنين من أهل الكتاب، **يعني** العشرون سببًا تقول لك: (لن يؤمنوا!) لكن هذه الآية الأخيرة تقول: (باستثناء هؤلاء!).

إذًا الآية (١٢١) فيها الكلام عن المؤمنين من أهل الكتاب، المستثنين من أسباب الطّمع {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ}: لهم صفة هؤلاء الّذين سيؤمنون، الّتي هي أنّهم {يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ}.

إذًا انظري: هذا السّبب أمام العشرين سببًا من أسباب قطع الطّمع، هناك سبب واحد يسبّب الإيمان؛ هو أنّهم يتلون كتابهم حقّ التّلاوة؛ {أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ} **يعني** هؤلاء الّذين يتلون الكتاب حقّ التّلاوة، سيؤمنون بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

الكلام هنا عمّن عاصروا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فالّذي يتلوه حقّ تلاوته سيجد صفة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في بقايا التّوراة، في بقايا الإنجيل، ففيهم صفة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- محفوظة إلى اليوم؛ ليقيم الله عليهم الحجّة، موجودة إلى اليوم. لكن دعينا نتكلّم عن الّذين كانوا في عصر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من فيهم سيؤمن؟ الّذي يتلو كتابه حقّ التّلاوة سيصل إلى أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- رسول من عند الله، وأنّه أتى بالحقّ المبين، ومن ثمّ سيستسلم للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ومن أمثلة ذلك الّتي تذكرونها في تاريخ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: عبد الله بن سلام، ممّن آمن. وهو نموذج لمن تلا الكتاب، قرأه وتلاه حقّ التّلاوة {يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ} يعني قرأه بلسانه واتّبع الحقّ؛ لأنّ "يتلو" هنا بمعنى يتّبع: {وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا}[1] يعني إذا تبعها.

فـ{يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ} يعني يقرؤونه بألسنتهم، ويتّبعون الحقّ الّذي فيه.

إذًا: كلّ الآيات السّابقة إلى الآية (١٢٠)، **تقول**: هذه أسباب قطع الطّمع.

---

(١) سورة الشّمس: ٢.

الآية (١٢١) تقول: هؤلاء الّذين يُستثنون من هذه الأسباب؛ أنّهم يؤمنون؛ لأنّهم يتلونه حقّ التّلاوة. أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا ممّن يتلون كتابه حقّ التّلاوة.

هكذا نكون انتهينا من أسباب قطع الطّمع، وبالنّسبة لنا يكون القسم الثّالث انتهى، الأسبوع القادم، والّذي بعده، نبذل جهودنا لننتهي من القسم الرّابع.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء العاشر: الخميس ٧ ربيع الأوّل ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّاني (٤٠_١٦٢)"

مراجعة ما سبق من أوّل السّورة

تابع مدارسة المقصد الثّاني (٤٠_١٦٢)

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، نراجع ما مضى معنا:

سورة البقرة ابتدأت بمقدّمة، وفيها أربعة مقاصد، وخاتمة.

المقدّمة من الآية (١) إلى الآية (٢٠)، تدور حول أمرين:

- الأمر الأوّل: الثّناء على الكتاب وأنّه هُدًى للمتّقين.
- الأمر الثّاني: إذَا كان هو هدًى للمتّقين، فهو ليس هدًى لغيرهم من الكافرين والمنافقين.

وبعد ذلك ضُرب مثل للكافرين والمنافقين. **إذًا:** كلّ العشرين آية الأولى دائرة حول الكتاب وأقسام النّاس في الهداية به.

ثمّ بدأت الآية (٢١) بقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}[1].

إذًا دعوة النّاس كافّة: (إلى اعتناق الإسلام، إلى دين التّوحيد) أيّ عبارة من هذه العبارات تكون صحيحة.

هذا الجزء ابتدأ من الآية (٢١) في الآية (٣٩) تقريبًا الّتي تتضمّن بيان التّوحيد، الّذي يُسمّى أصول الدّين: بيان أصول الدّين. ما هي أصول الدّين؟

أصول الدّين أن:

- تؤمن الله.
- وتؤمن بلقاء الله "البعث".
- وتؤمن بأنّ دين الله أتى به رسول الله وتؤمن بالكتاب.

---

(١) سورة البقرة: ٢١.

أمّا الإيمان بالملائكة فهو تَبَعٌ للإيمان بالرّسل، تبع للإيمان بالكتب.

الآن أنت تقولين: (أركان الإيمان الّتي جاءت في حديث جبريل، ستّة أركان) ما هي هذه السّتّة أركان؟ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه. من بين السّتّة ثلاثة أصول تُعتبر أصول الدّين كلّه:

١) **الإيمان بالله**: هذا أصل الدّين وعليه يدور عليه كلّ شيء.

٢) **وأيضًا الإيمان بلقائه**: فالإيمان بالله والإيمان بلقاء الله، هذا هو أصل الدّين؛ أن تؤمن أنّ الله – عزّ وجلّ– موجود وله الكمال –سبحانه وتعالى– وأنّنا سنلقاه.

سنلقاه فيحاسبنا على أعمالنا الّتي يجب أن نقوم بها. هذه الأعمال من علّمنا إيّاها؟

٣) **سنصل إلى الأصل الثّالث**: الّذي هو: الرّسل، والكتب.

هكذا أصل الدّين، ثمّ بعد ذلك التّابع لذلك:

- **الإيمان بالملائكة**: أنّ الملائكة نزّلت الكتب على الرّسل.
- **والإيمان بالقدر خيره وشرّه**: أيضًا هذا تابع لإيماننا بالله.

إذًا: هذه الثّلاثة أين ظهرت؟ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}[1].

انظري إذًا: هناك جملتان:

١. {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ}.

٢. {فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}.

إذًا: بالإثبات والنّفي، جاء الأصل الأوّل الّذي **هو**: الإيمان بالله.

أمّا الأصل الثّاني: {وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا} الإيمان بالكتب، والإيمان بالرّسل.

(١) سورة البقرة: ٢١_٢٢.

{فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}[١] هذا التّحدّي الآن.

{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ}[٢]. {فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ} جاءنا الكلام عن اللّقاء {فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}[٣] **وبذلك فهمت**: أصول الدّين.

إذًا: هذا هو المقصد الأوّل بعد المقدّمة، وقد ابتدأ بطريقة القرآن في بيان الحقّ: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً}[٤] وجاء هذا السّياق كاملًا في الكلام عن طريقة القرآن في بيان الحقّ وعتابهم على عدم قبولهم للحقّ؛ لأجل ذلك كيف أتى عتابهم؟ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ}[٥] يعني نفس الأصول الثّلاثة الّتي أتتنا في المرّة الأولى عرضًا، أتتنا في المرّة الثّانية عتابًا: أنّه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ}؟!

وبعد أن انتهينا من {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ}، ماذا جاءنا في السّياق؟ أتت مباشرةً قصّة آدم، أوّل قصّة في ترتيب المصحف.

لا تنسوا: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ} لابدّ أن تأتي بعدها قصّة آدم، لماذا؟ لأنّه هذا هو أصل أنّكم {كُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ}.

وكذلك هناك شيء ثان مهمّ في قصّة آدم: أهمّ شيء في قصّة آدم هنا في سورة البقرة: التّكريم: أنّه أنت يا ابن آدم لك كرامتك، ومن ثَمّ لا تُهن نفسك بعبادة غير الله.

ولأجل ذلك: أتى تكريم آدم، وبعد ذلك أتى تكريم بني إسرائيل.

نحن لن نقف كثيرًا عند تكريم آدم؛ لأنّنا تناقشنا كثيرا في هذه المسألة، **لكن المهم أن تعرفي**: أنّ هذا التّكريم لآدم، قابله العداوة والحسد من الشّيطان وعلى ذلك ما رغبة الشّيطان مع الإنسان؟ إهانته!

هكذا انتهينا من المقصد الأوّل. الّذي هو: دعوة النّاس إلى التّوحيد.

الآن عندما تقولين: دعوة النّاس إلى التّوحيد، كأنّ هؤلاء النّاس الآن ليسوا موحّدين؛ ولأجل ذلك دعوتهم إلى التّوحيد؛ فبعد أن ننتهي من النّاس كافّة سنذهب إلى بني إسرائيل.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٤_٢٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٨.

لماذا دعوة بني إسرائيل خاصّة؟ ما الّذي يميّز بني إسرائيل عن بقيّة النّاس؟ أنّهم أهل كتاب. يعني مشكلتنا معهم ليست إثبات التّوحيد، ولا الرّسالة، ولا البعث، أبدًا! لأنّهم يعرفون هذه الثّلاثة أصول في الدّين، يعرفون أنّ الله مستحقّ للعبادة، ويعرفون أنّ الله يرسل الرّسل، وينزّل الكتب، ويعرفون أنّه لابدّ من لقاء الله؛ ولأجل ذلك فإنّ اسمهم: أهل كتاب.

لكن ما هي مشكلتنا مع بني إسرائيل؟ لماذا مقصد كامل في سورة البقرة من الآية (٤٠) إلى الآية (١٦٢) في الكلام معهم؟ لأنّهم ينكرون نبوّة الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- فصار النّزاع كلّه هنا في نبوّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ولذلك **قارني**: بين خطاب {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}[1]، وبين خطاب {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}.

ثمّ كيف أتى خطاب {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} الّتي هي الآية الفذّة هنا؟ هنا بدأ المقصد الثّاني. ما هو الفرق بين خطاب بنو إسرائيل، وبين النّاس؟ قارنوا بين الآية الأولى هنا، والآية الأولى هنا؟ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ} ماذا؟ {ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ}، أين؟ في خطاب النّاس كافّة. وفي بني إسرائيل؟ {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ}، {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} يعني يا أبناء الرّجل الصّالح، يعني فرق كبير بين: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}، وبين: يا أبناء الرّجل الصّالح! هناك فرق كبير يدلّ على خصوصيّتهم. ولذلك بعدما ذُكر آدم وكرامته على الله، وأنّ الله أسجد له الملائكة؛ ذُكر أكثر أُناس كُرّموا قبل المسلمين. الّذين هم بنو إسرائيل؛ فكأنّ الدّعوة لهم: يعني ربّنا كرّمكم {أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ}! لأجل ذلك فإنّ هذه الآية فذّة جدًّا لأنّها تأتيهم من مكان الشّعور بالتّكريم: يا أبناء الرّجل الصّالح! {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} ماذا؟ {ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ} التّفضيل الّذي حصل لبني إسرائيل {ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ}. معناها أنّ بينهم وبين الله عهد خاصّ.

إذًا كانت هذه الآيات مقدّمة المقصد الثّاني: دعوة بني إسرائيل خاصّة، هذه الدّعوة لها مقدّمة بدأت بـ{يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}، وبعد ذلك ذُكر ما ذُكر في حقّهم، وهذا النّداء الّذي هو مقدّمة تكرّر مرّتين:

المرّة الأولى: مرّة على الودّ، وعلى تذكيرهم.

المرّة الثّانية: مرّة فيه تخويف، الّتي هي في آخر السّياق:

{وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ}.

(١) سورة البقرة: ٤٠.

بذلك نكون انتهينا من مقدّمة مخاطبة بني إسرائيل. سيبدأ معنا الآن نفس هذا الجزء سينقسم إلى أقسام.
ما هو أوّل قسم في مخاطبة بني إسرائيل؟

القسم الأوّل: تذكير الله –عزّ وجلّ– لهم بالنّعم على أسلافهم؛ ولذلك جاء في كلّ هذا السّاق: {وَإِذْ}، بمعنى: اذكروا، ثمّ ذُكرت قائمة طويلة من النّعم على أسلافهم، وفي أثناء ذكر النّعم على أسلافهم، ذُكر بعض مسالك أسلافهم السّيّئة أمام هذه النّعم، مثل: اتّخاذهم العجل، قالوا {لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً}[1]، أيضًا الحادثة الكبيرة المهمّة: قصّة البقرة.

هذه الحالة الّتي هم فيها من عدم ذكرهم لنعمة الله، وعدم وفائهم لعهد الله، كانت في الأسلاف؛ حتّى أنّهم كان الله يطعمهم {ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ} وبعد ذلك قالوا: {لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ}.

إذًا: هل استجابوا لربّ العالمين، وهل وفّوا بعهد الله؟ وهل شكروا النّعمة؟

لا! ثمّ ورد عفو الله عنهم، وتوبته عنهم، وكلّ هذا أيضًا من النّعم.

إلى أن وصلنا إلى قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}. هذا كان الكلام عن الأسلاف. والأبناء أيضًا توارثوا قسوة القلب؛ ولذلك التّربية تورث إمّا لين القلب، أو قسوة القلب، يعني لين القلب يكون طبعًا في الإنسان، لكن لو عاش في مجتمع قاسي القلب، يصبح مثلهم!

ولأجل ذلك حين تأتي مواقف، فإنّهم يقولون: (هذه تربية يهود!) ماذا يعني تربية يهود؟ **يعني** تربية تقسّي القلب.

المقصد: أنّه {ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم} كأنّها استفتاح لأسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود المعاصرين للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يعني ذُكر الأسلاف أوّلًا، وذُكر أحوالهم مع نعم الله، وقيل إنّ النّتيجة أنّه: {قَسَتۡ قُلُوبُكُم} بعد كلّ هذه النّعم المتكرّرة: {قَسَتۡ قُلُوبُكُم}.

هذا أثّر على الخَلَف في أنّهم توارثوا القسوة، لمّا توارثوا القسوة، وأمامهم النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم. ماذا كان موقفهم من النبيّ صلى الله عليه وسلّم؟ هل آمنوا به؟

---

(١) سورة البقرة: ٥٥.

لا ما آمنوا به، فلذلك قيل للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته الكرام: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ} وماذا؟ {وَقَدْ كَانَ} منهم كذا! {وَقَدْ كَانَ} منهم كذا! في المعاصرين، فعددنا عشرين سببًا لقطع الطّمع في إيمانهم؛ **فكأنّه يُقال**: لا تطمع فيمن كانت هذه أحواله.

ونحن كلّما كنّا ندرس في المرّات الماضية، كنّا نذكّر أنفسنا: هل أسباب قطع الطّمع خاصّة ببني إسرائيل؟ أم قُصد منها أنّ بني إسرائيل كانت فيهم هذه الأسباب المانعة لإيمانهم، القاطعة لطمع من يدعوهم إلى الإيمان؛ ومثلهم كلّ من كانت هذه الصّفة فيهم، أو كان على نفس الطّريقة. يعني أنت الآن كلّ مرّة تراجعين فيها أسباب قطع الطّمع -إن شاء الله- تكبرون، وتنضجون، وتكونون الشّابّ الّذي نشأ في طاعة الله، وكلّ مرّة تقرؤون سورة البقرة، **تقولون**: هذه العشرون سببًا لقطع الطّمع، ما هو المطلوب منّي تجاهها؟ أن ألاحظ نفسي تجاه هذه الأسباب، لو ظهر سبب من هذه الأسباب معناها أن الإيمان يضعف، إلى أن يذهب، يعني الّذي يكون فيه سبب من هذه الأسباب، أو بداية سبب، لابدّ أن يطهّر نفسه منها. كأنّك تتكلّمين عن عشرين صورة لنفسيّة لا تقبل الإيمان، يعني اجعلوا هذا مشروعًا من مشاريعكم في المستقبل -إن شاء الله- أن تدرسوا هذه النّفسيّة، الّتي تفعل هذا الفعل، كيف تكون حالتها؟ ماذا يكون تفكيرها؟ ماذا يكون تصوّرها؟ لأنّ الّذي يكون بهذه النّفسيّة لابدّ أن يعالج؛ لأجل أن يسهل عليه قبول الإيمان.

يعني الّذي ترينه عنده عناد أو دخل في الإلحاد، هذا لابدّ أن يكون هناك أصلًا جزء من هذه النّفسيّة موجودة فيه، وبعد ذلك اجتمعت عليه أسباب جعلته يقبل مثل هذه الأفكار.

فلابدّ أن تفهموا: أنّ العشرين سبب صحيح أنّها وصف بها بنو إسرائيل، لكن المقصود منها كلّ من كان في نفسه مثل هذا التّصوّر؛ يُخاف عليه أن يذهب عليه الإيمان.

ولو كنت في مجال الدّعوة؟ أيّ سبب من هذه الأسباب ستجعلك لو وُجدت وكانت قويّة في نفس أحد، تجعلك لا تُتعبين نفسك معه.

لأنّ فيه أسباب قطع الطّمع {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ}[1] هل يعني ذلك أن نتركهم ولا ندعوهم؟ لا، وإنّما أنت لابدّ أن تفهمي: أنّك حين تخاطبين أحدًا بهذه النّفسيّة فأنت فقط تُقيمين عليه الحجّة، فلا تكن عندك آمال كبيرة فيه.

---

(١) سورة البقرة: ٧٥.

إذًا: كنّا انتهينا المرّة الماضية من أسباب قطع الطّمع، الآن سنبدأ في القسم الثّالث الآن.

دعوة أهل الكتاب خاصّة:

- جاء فيها مقدّمة.
- وبعد ذلك جاء فيها تذكيرهم بالنّعم السّالفة.
- وبعد ذلك جاء فيها أسباب قطع الطّمع.
- الآن القسم الثّالث: قدامى المسلمين من لدن إبراهيم عليه السّلام.

لماذا ذُكر قدامى المسلمون؟ سيبقى هذا السّؤال معنا، نقرأ معًا ونرى لأيّ سبب ذُكر قدامى المسلمون؟

تابع مدارسة المقصد الثّاني

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ (١٢٤) وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ (١٢٥) وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ}(١).

كان يُتصوّر أن: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} الّتي كانت في بداية النّداء، أنّها إغلاق للماضي مع بني إسرائيل لأجل أن يُذكر قدامى المسلمين، لكن هي استفتاح للقادم، وهذه هي: الغاية، بمعنى: أنّ بني إسرائيل يُذكّروا بأبيهم المشترك مع المسلمين.

لأجل ذلك لا تنسي أبدًا أنّ بداية هذا المقطع نداء أيضًا لبني إسرائيل؛ لأنّ الكلام مازال لبني إسرائيل.

وهذا الغرض متوقّع، يعني أوّل ما أقول: قدامى المسلمين، سأتذكّر إبراهيم -عليه السّلام- **لكن المقصود:** تنبيه بني إسرائيل على علاقتهم بإبراهيم.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤_١٢٦.

قبل أن يأتي الكلام عن إبراهيم -عليه السّلام- أتى الكلام عن بني إسرائيل، لأجل أن لا يحصل هذا الخطأ عندكم في الحفظ، لكنّه خطأ متوقّع، فمباشرة أوّل ما أتذكّر قدامى المسلمين سينتقل عقلي إلى إبراهيم عليه السّلام.

الآن أوّل آيتين الّتي **هي**: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ} هاتان الآيتان نفسها هي ختام المطلع، الّتي فيها تخويف: {وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا}(١).

لماذا أُعيد نداء بني إسرائيل مرّة أخرى؟ **الجواب**:

أُعيد نداء بني إسرائيل، وهو: نداء التّنبيه والإنذار والتّذكير؛ لأجل تنبيههم لعلاقتهم بإبراهيم -عليه السّلام- وأنّهم يشتركون مع أمّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في إبراهيم عليه السّلام.

سيتبيّن هذا في النّقاش، **يعني** كأنّه قيل: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} كونكم من نسل إبراهيم.

{وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} لأنّكم من نسل إبراهيم، يعني أنتم القوم المؤمنون الّذين من نسل إبراهيم. ماذا لو جاء قوم مؤمنون آخرون من نسل إبراهيم، هل يصير لهم حقّ التّفضيل أم ليس لهم حقّ التّفضيل؟ لهم حقّ التّفضيل.

ما هو أكثر شيء منع بني إسرائيل أن يسلّموا للرّسول صلّى الله عليه وسلّم؟ هل أنّ أدلّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لم تكن واضحة عندهم؟ لا، بل {حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم} لأجل مسألة التّفضيل، وهذا شيء كلّ النّاس يجدونه في أنفسهم، عندما يكونون هم المفضّلون، وبعد ذلك يأتي أحد غيرهم ويُفضّل؛ فالّذي فُضّل عليه، المُفَضّل الأوّل سيشعر بالحزن طبعًا! ولابدّ أن يكون تقيًّا جدًّا؛ لأجل أن يقبل التّفضيل الجديد، فلذلك قيل لهم: {وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا}(٢).

أي يحتاجون إلى تقوى لأجل أن يقبلوا أن تأتي أمّة محمّد وتُفَضّل عليهم.

---

(١) سورة البقرة: ٤٧_٤٨.

(٢) سورة البقرة ٤٨.

تصوّري أن تكوني في أيّ موقف المفضّلة، وبعد ذلك لأيّ سبب يأتي أحد يُفضّل عليك؛ إذا كنت صاحبة تقوى ماذا سيصير؟ ستحاربين الحسد الّذي يصير في نفسك، وتقبلين الحقّ، لكن في الهدوء الكلام جميل، بينما في المواقف تظهر الحقائق!

والّذي يرى نفسه ليس حسودًا؛ يجرّب موقفًا مثل هذا، وسيعرف كيف؟! أنّه (مَا خَلا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ) ولذلك قيل لهم قبل التّذكير: أنتم أبناء الرّجل الصّالح، اذكروا النّعمة، اذكروا الزّمان الطّويل الّذي فيه فُضّلتم، واتّقوا يومًا تلاقون فيه ربّكم، وإذا آمنتم سيكون التّفضيل باقٍ لكم، وتكونوا جمعتم بين الخيرين. طبعًا هم ما فعلوا هذا الفعل!

ابتدأ السّياق بنداء بني إسرائيل؛ هناك بعض المفسّرين رأوا هاتين الآيتين إنّما هي إغلاق للكلام السّابق. وهذه وجهة نظر أيضًا، **يعني** بمثل ما ابتدأ الخطاب، انتهى الخطاب. لكن الله أعلم أنّ هذا هو الأولى: أنّها تكون مع الكلام عن إبراهيم عليه السّلام.

الآن: {وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} الخطاب هنا لبني إسرائيل، ولكلّ من يصلح له الخطاب، يذكّرنا بإبراهيم –عليه السّلام– وابتلاء ربّه له {بِكَلِمَٰتٍ}.

{وَإِذِ} يعني واذكر. واذكر ماذا؟

- {ٱبْتَلَىٰٓ}: الفعل.
- {إِبْرَٰهِـۧمَ}: مفعول به.
- {رَبُّهُۥ}: فاعل.

"الله ابتلى إبراهيم" ابتلاه بماذا؟ جاءت الباء: {بِكَلِمَٰتٍ}. ما هي الكلمات؟ أوامر ونواهي.

وبعد ذلك: ماذا فعل؟ {فَأَتَمَّهُنَّ}: "الفاء" تدلّك على السّرعة.

الكلمات هي: أوامر ونواهي من الله؛ والإتمام من إبراهيم عليه السّلام: تنفيذ الأوامر والنّواهي.

والجزاء: {إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} فماذا كان من إبراهيم عليه السّلام؟ قال: {وَمِن ذُرِّيَّتِى}؟ طلب الإمامة لذرّيته.وهذا مثل حال والديكم، أوّل ما يحصل لهم خيرًا؛ مباشرة يتمنّونه لكم؛ فإبراهيم –عليه السّلام– هذا موقفه من الذّرّيّة؛ وأنتم من ذرّيّة إبراهيم –عليه السّلام– فهو يتمنّى لكم الخير، فيتمنّى أن يكون من ذرّيّته أئمّة؛ لأنّ الإمامة في الدّين خير.

{قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي} واجعل الإمامة في شيء من ذرّيّتي لأنّ الأئمّة لن يكونوا كلّ الذّرّيّة؛ وإنّما جزء من الذّرّيّة؛ لأنّه سيصير إمامًا والنّاس تابعين له.

ماذا قال الله له لمّا طلب هذا الطّلب؟ قال: {لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}.

أي أنّ المسألة ليست لها علاقة بالأنساب؛ فليس كوننا من ذرّيّة إبراهيم ستكون لنا الإمامة؛ إنّما ستكون الإمامة لمن كان تقيّا، وهذا يُناسب {وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا}[1] الّتي أتت سابقًا.

ثمّ وُصف الّذي لا ينال العهد "الإمامة" من؟ بـ {ٱلظَّٰلِمِينَ} وهذه كلمة تحتمل كلّ أنواع الظّلم؛ إذَا بدأت بالظّلم الأكبر الّذي هو الشّرك؛ ستقولين: (أكيد أنّ هؤلاء لن يدخلوا!) وهذه كأنّها إشارة إلى بني إسرائيل لمّا وقعوا في الشّرك، النّصارى لمّا وقعوا في الشّرك. العرب لمّا وقعوا في الشّرك؛ هذا لو قلت: الظّلم الأكبر.

وأيضا الظّلم يصلح أن يكون: ظلم النّفس الّذي هو: المعاصي، أو: ظلم الغير.

إذًا: {ٱلظَّٰلِمِينَ} ستحتمل كلّ المعاني، أيّ عبد ظالم لا تصلح له الإمامة، سواء كان:

- **الظّلم**: الشّرك.
- **الظّلم**: المعاصي.
- **الظّلم**: ظلم الآخرين.

إذًا: عرفنا من الّذي لا ينال العهد؟

لكن أنت عندما تسمعين هذا الكلام: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي} لابدّ أن تشتاق نفسك لهذه الحالة؛ لأنّ إبراهيم -عليه السّلام- كان شوقه أن يكون من ذرّيّته أئمّة يدعون النّاس إلى الخير؛ فإذَا اشتاق لذلك، لا تكون همّتك أقلّ من ذلك! خصوصًا حين تعرفين أجر الشّابّ الّذي نشأ في طاعة الله، وكيف أنّ هذا صنف من الأصناف السّبعة الّذين: (يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)[2] وهذه الإشارة إشارة تمييز، يعني يكون من الأصناف السّبعة الّذين يظلّهم الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه؛ إشارة إلى تمييزهم ورفعهم؛ فالّذي يريد أن ينال العهد: أوّل شيء يكون في قلبه

(١) سورة البقرة: ١٢٣.

(٢) أخرجه البخاريّ (١٣٣٩).

الشّوق إلى العهد، يعني يريد أن يكون ممّن تمنّى لهم إبراهيم هذه الإمامة، تكون الإمامة على باله، يخطّط لها؛ ولذَا فإنّه من كرّم نفسه جعل آماله في السّماء، والّذي يهين نفسه يجعل آماله كآمال الأنعام: ترعى، تأكل، تشرب، تنام!

لا تنسوا: نحن سمعنا عن آدم -عليه السّلام- وتكريم الله له، والآن نسمع عن إبراهيم -عليه السّلام- ورفعة الله له؛ وكأنّه يُقال: وأنت من ذرّيّة إبراهيم فلا ترمي نفسك في الحضيض، ومثلما اشتاق إبراهيم أن يكون من ذرّيّته أئمّة، لابدّ أن تشتاق إلى ذلك إكرامًا لنفسك؛ فإنّ دين الله مستغنٍ عن الخلق، دين الله منصور بنا أو بغيرنا، لكنّ الحقّ أنّ العبد هو الّذي يشتاق أن يكون في ركب من نصر الدّين.

فحين تمرّون على هذه الآية: اجعلوها في مكانها في قلوبكم! لأنّه لكي تنال الإمامة من عند الله فلا بدّ أن يكون هناك شوق في قلب الإنسان؛ إحساس بأنّ الإنسان يريد هذا الشّيء.

على كلّ حال؛ فإنّ هذه الآية العظيمة الّتي تصف حال إبراهيم -عليه السّلام- وضّحت لنا المسألة بوضوح.

{قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}. الآن سترين منزلة إبراهيم -عليه السّلام- يعني الآن ستأتي الأخبار في الآيات بالتّدرّج لذكر مَنْقَبَةِ إبراهيم -عليه السّلام- انتقلنا من كونه أصبح إمامًا إلى نوع آخر، أو صورة أخرى من إبقاء إمامته إلى قيام السّاعة، وهو: البيت! يعني البيت الباقي المحفوظ، الكعبة الّتي بناها إبراهيم، باقية مدى الدّهر؛ إذا هُدمت ذهب النّاس؛ فإنّ اليوم الّذي تُهدم فيه الكعبة هدمًا نهائيًّا، ولا يُشيّدها أحد؛ هذا اليوم هو يوم فناء النّاس، ونهايتهم. فمعنى ذلك أنّ ذكر إبراهيم سيبقى إلى قرب قيام السّاعة.

فإذًا الآن: تدرّج في ذكر مَناقب إبراهيم -عليه السّلام:

{وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا} هذه الفضيلة للبيت.

ثمّ بعد ذلك لاحظوا: كلّ الّذي يذهب يطوف في الكعبة؛ يقول: (سأصلّي ركعتي الطّواف) أين؟ خلف مقام إبراهيم. معنى ذلك: لابدّ أن يقول: (إبراهيم) وهو في السّنة أنّه بعد أن تنتهي من الطّواف؛ تقولين قبل أن تصلي إلى المقام، أو تصلّي الرّكعتين؛ تقولين قوله تعالى: {وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى}.

مثل حين تذهبين إلى السّعي تقولين وأنت في الطّريق: {إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ}[1] فهكذا حين تطوفين أو تعتمرين أو تحجّين، **أقصد**: طواف نافلة أو طواف من عمرة أو طواف للحجّ؛ في النّهاية تقولين: {وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى} والنّاس يقولون لك: (هنا مقام إبراهيم) وأُناس يقولون لك: (ليس هناك مشكلة! اذهبي وصلّي وراء مقام إبراهيم من الخلف). ويبقى اسم إبراهيم –عليه السّلام– متداولًا بين النّاس إلى أن تقوم السّاعة.

فهذا أنت تجعلينه أمام عينيك وتقولين: (عندما يريد الله رفعة أحد يُبقي ذكره سبحانه وتعالى).

إذًا: هذا تدرّج في ذكر مَنْقَبَةِ إبراهيم –عليه السّلام– وهنا: مَنْقَبَة البيت.

هذا ذكر إجمالي الآن: {وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ} طبعا هذه كلّها تفاصيل لكنّها بالنّسبة لنا الآن سننظر هكذا: إبراهيم –عليه السّلام– ومَنْقَبَته.

سترين الآية (١٢٦): انظري إلى: إبراهيم –عليه السّلام– وموقفه: هو أُمر أن يُطهّر البيت. هو ماذا يقول؟

{رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ} انظري: هناك شيء مهمّ جدّا هنا، يسهّل لنا الكلام الّذي مضى: ربّنا يذكّرهم أنّ إبراهيم دعا هذا الدّعاء، يذكّر بني إسرائيل؛ لأجل ذلك فإنّ بداية السّياق بني إسرائيل، يذكّرهم أنّ إبراهيم –عليه السّلام– دعا هذا الدّعاء. لماذا يذكّرهم بدعاء إبراهيم؟

هذا إشارة إلى مكّة. {رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم} معنى هذا أنّه يُقال لبني إسرائيل: إبراهيم –عليه السّلام– دعا لهذه الأرض: {مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم}الّذي سيؤمن منهم؛ سيؤمن عندما يُرسل له رسول! فكأنّ هذا إشهاد على أنّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– حقّ.

فإذًا فوق الآية نكتب:

شهادة الله –عزّ وجلّ– على نبوّة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– والخطاب لبني إسرائيل.

وهناك ملاحظة لطيفة دائمًا يذكرها المفسّرون في كلام إبراهيم عليه السّلام: أنّه في أوّل الآية لمّا قال: {وَمِن ذُرِّيَّتِي} قال الله عزّ وجلّ: {لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}، هنا قال: {ٱرۡزُقۡ} من؟ {مَنۡ ءَامَنَ}

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

فأجابه الله: {وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ} أي أنّ مسألة الدّنيا ليست مثل مسألة الإمامة في الدّين.

في الإمامة في الدّين: {لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ}.

في الرّزق في الدّنيا: مؤمن وكافر يُرزقان.

لكن هذه اللّطيفة تفهّمك هذه المسألة: أنّك عندما ترين النّاس يُرزقون، وعندهم من الدّنيا ما عندهم؛ فهذا ليس دليلًا على أنّ الله راضٍ عنهم، لكن حين تجدين أنّ الله -عزّ وجلّ- قد خصّهم بالعلم، وزادهم من فضله، وجعل القرآن في قلوبهم ربيعًا؛ فهذا هو التّفضيل.

في الدّنيا والأرزاق: الاثنان سواء، الّذي يؤمن، والّذي يظلم، فالاثنان سواء؛ لكن في العلم والإمامة، هي خاصّة بمن؟ {لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ}.

هكذا ظهر لنا شيء مهمّ هنا: أنّ الله -عزّ وجلّ- يشير لبني إسرائيل أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من دعوة إبراهيم. هه الآية.

نبدأ من الآية (١٢٧) الآن:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}[1].

(١) سورة البقرة: ١٢٧_١٣٤.

الآن دعونا نرجع من أوّل السّياق: لأجل أن نعرف موطن هذه الآيات، في الآية (١٢٤) الّتي هي قوله تعالى: {وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ}: هذه المَنْقَبَة الأولى لإبراهيم -عليه السّلام- نحن قلنا: هناك تدرّج في ذكر مناقبه:

١) فالمَنْقَبَة الأولى: {وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ} على وجه الإجمال كانت هذه المَنْقَبَة: موقف إبراهيم -عليه السّلام- ابتلاه الله بكلمات فأتمّهنّ.

٢) المَنْقَبَة الثّانية: الّتي هي في الآية (١٢٥) والآية (١٢٦): أنّ الله -عزّ وجلّ- جعل {ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ} **معنى ذلك**: ما هي المَنْقَبَة؟ أنّ الله -عزّ وجلّ- عهد إليهم تطهير البيت. {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا}.

٣) المَنْقَبَة الثّالثة: مَنْقَبَة، وتذكير بشرف الكعبة، وتعريض بالمشركين الّذين حوّلوا الكعبة لمكان الشّرك. ما هي المَنْقَبَة هنا؟

ممكن أن تقولي: المَنْقَبَة رفع البيت، يعني بناؤه؛ وممكن أن تقولي: المَنْقَبَة أنّه مع هذا العمل الشّريف إلّا أنّه كان يخاف من عدم القبول. وممكن أن تقولي: المَنْقَبَة هي حرصه على تعليم الأمّة من بعده الإسلام والتّوحيد؛ لأنّه يقول: {رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ} هذا كلّه في حكم المَنْقَبَة لإبراهيم -عليه السّلام- وأيضًا في نفس الوقت فيه تعريض للمشركين، أي انظروا لأيّ شيء بنيت الكعبة؟ وليس لما أنتم عليه! {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} إلى أن تصلي إلى: {رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ} هذا من ضمن دعائه، وأيضًا فيه تعريض للمشركين واليهود.

كأنّه يُقال لليهود إنّ هذا الرّسول: محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- من آثار دعوة إبراهيم عليه السّلام.

في الآية (١٢٩) واضح جدّا أنّ الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- من آثار دعوة إبراهيم عليه السّلام.

الآن نأتي للآية (١٣٠): الآية (١٣٠) موقعها مهمّ جدّا في هذا السّياق، هي: بمثابة النّتيجة بعد الدّليل. ما هو المقصود بالنّتيجة؟ كأنّه يُقال: لمّا بيّن الله فضائل إبراهيم، قيل: من كانت هذه فضائله؛ لا يُعدل عن دينه، ومن عدل عن دينه؛ فهو سفيه! غبيّ! فالسّفيه، يعني الغبيّ الّذي في اللّغة العربيّة

اسمه: ضعيف الرّأي، فغبيّ هي باللّغة العربيّة لأنّها كلمة لها معناها الدّاخل، لها شعور عندنا؛ فأحسن شيء أوّل ما تجدين سفيها تفهمين أنّ السّفيه **هو**: الغبيّ الّذي لا يتصرّف بالطّريقة الصّحيحة! فأيّ أحد يترك الاقتداء بإبراهيم –عليه السّلام– في دينه ومسلكه يكون سفيهًا!

{وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ} يعني هذه الحالة الدّالّة على كمال إبراهيم. {إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ} مباشرة ماذا قال؟ {أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} يعني هذا كمال إبراهيم –عليه السّلام– وإشارة لما كنّا قد اتّفقنا عليه من البداية: أنّه دعوة النّاس كافّة إلى الإسلام، دعوة بني إسرائيل إلى الإسلام، الّذي هو يتضمّن التّوحيد.

الآن ستتأكّدين أنّ الكلام موجّه إلى بني إسرائيل. ما الّذي يؤكّد لك أنّ الكلام موجّه إلى بني إسرائيل؟ وأنّ السّياق لازال في بني إسرائيل؟

بعد ذكر مقام إبراهيم –عليه السّلام– وحال إبراهيم عليه السّلام؛ أتى: {وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ} ومن بين بنيه؟

{إِسۡحَٰقَ}، ثمّ إنّ إسحاق وصّى يعقوب، ويعقوب وصّى بنيه، يعني الآن: ما هي علاقتنا ببني إسرائيل؟ ما هي علاقة بني إسرائيل بإبراهيم؟ بنو إسرائيل أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم.

الآن ابدئي من عند إبراهيم –عليه السّلام– كم ابن عنده؟ ابنان، إسماعيل وإسحاق. إسحاق أتى بيعقوب. يعقوب أتى ببني إسرائيل أبناؤه، الّذين هم من؟ أنت أين سمعت عن أبناء يعقوب؟ ما هي السّورة الّتي فيها عن أبناء يعقوب؟ سورة يوسف.

كم ابنا ليعقوب؟ اثنا عشر ابنا، إحدى عشر كوكبًا كانوا إخوانه سجدوا له.

إذًا: الاثنا عشر ابن ليعقوب اسمهم: بني إسرائيل، هؤلاء الّذين يُسمّون أبناء إسرائيل؛ إسرائيل الّذي هو يعقوب، يعقوب ابن إسحاق، إسحاقإبراهيم.

{وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ} وصّى من؟ إسماعيل وإسحاق. وأبناؤه وصّوا من؟ إسحاق وصّى يعقوب، ويعقوب وصّى أبناءه، الاثنا عشر ابنًا.

هذا كلّه يبيّن لك أنّ السّياق لازال في بني إسرائيل، وكلّ الّذي ذُكر عن إبراهيم -عليه السّلام- فيما سبق؛ لأجل أن تصلي إلى هذه النّتيجة؛ الّتي ما هي: أنّ أبناء يعقوب على دين إبراهيم عليه السّلام. إذَا كانوا على دين إبراهيم؛ ما الّذي يُنتظر منهم؟ إذَا كانوا على دين إبراهيم ألم تكن الكعبة ستهمّهم؟ بلى كان لابدّ أن تهمّهم؛ لأنّ الّذي بنى البيت هو جدّهم؛ لأنّهم مهما كانوا بعيدين؛ سيرجعون مرّة أخرى أبناء لإبراهيم -عليه السّلام- مثلما نقول: نحن كلّنا بنو آدم، يعني مهما بعدت المسافات؛ فإنّ الأب الأوّل تعود إليه، خصوصًا ذا الشّرف.

فأنت الآن تعرفين أنّ بني إسرائيل والعرب أبناء عمومة، نحن نعود إلى إسماعيل، وهم إلى إسحاق. ما الّذي يربطنا سويّا؟ إبراهيم عليه السّلام.

المفترض أنّ البيت الّذي بناه أبونا إبراهيم يكون مهمّا عندنا، ومهمّا عندهم! لكن هم تركوا هذا كلّه؛ رغم الوصيّة: {وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ} وعلّمهم التّوحيد، قال لهم: {يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ} فلا تحتاجون أن تذهبوا لا يمنة ولا يسرة! وأوصاهم لا تموتوا {إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ}

{مُّسۡلِمُونَ} يقصد الإسلام بالمعنى العامّ. هنا مناسب جدّا أن نؤكّد على معاني الإسلام.

كلمة الإسلام تأخذ ثلاث معانٍ:

المعنى الأوّل للإسلام: المعنى العامّ: وهو دين جميع الرّسل، وهو بمعنى الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطّاعة، والخلوص من الشّرك وأهله. وهذا اسم دين جميع الأنبياء، كلّ الأنبياء هذا دينهم؛ لأجل ذلك انظروا في الآية: {وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ} **فإذًا:** هذا دين إبراهيم، ودين يعقوب، ودين إسحاق، ودين كلّ بني إسرائيل الّذي هو الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطّاعة، والخلوص من الشّرك وأهله.

المعنى الثّاني للإسلام: معنى خاصّ: وهو اسم لدين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

المعنى الثّالث للإسلام: جزء من المعنى الثّاني: وهو يُطلق على مرتبة من مراتب دين الإسلام، الّذي ورد في حديث جبريل، لمّا أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأخبره عن مراتب الدّين: الإسلام، الإيمان والإحسان.فصار الإسلام جزء من مراتب الدّين.

صار معنى ذلك: عندما تسمعين كلمة الإسلام؛ ستكون أحد ثلاث معانٍ:

١. إمّا الإسلام بالمعنى العامّ.

٢. أو إسلام بالمعنى الخاصّ.

٣. أو إسلام بمعنى خاصّ، الخاصّ.

وكلّها مشتركة، يعني حين تتكلّمين عن دين الإسلام، الّذي هو دين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ لابدّ أن تأتي بالمعنى الأوّل: الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطّاعة، والخلوص من الشّرك وأهله.

فهو مشترك، وبعد ذلك يأتي الإسلام الّذي هو أحد مراتب الدّين، ماذا سيكون؟ (الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ)[١] وهذا أصلًا مشترك بين كلّ الأديان؛ كلّ الأديان فيها شهادة أن لا إله إلّا الله، وفيها الصّلاة، وفيها الصّيام، وفيها الحجّ، وفيها الزّكاة؛ ولذلك في الحديث أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان وهو خارج من المدينة إلى مكّة في حجّة الوداع، كان يقول: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى مُوسَى -عليه السّلام- هَابِطًا مِنَ الثّنِيّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إلى اللهِ بِالتّلْبِيَةِ)[٢] (كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى يُونُسَ بْنِ مَتّى عليه السّلام، عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ) يعني كأنّه يراهم ماشين في هذا الطّريق، معناه أنّ كلّهم حجّوا؛ ولذَا فإنّه يُقال عن مسجد الخيف الّذي في مِنَى؛ أنّه صلّى فيه سبعون نبيّا.

فالمقصد: أنّه لمّا قال الله -عزّ وجلّ- عن وصيّة إبراهيم -عليه السّلام- ويعقوب لأبنائه: {فَلَا تَمُوتُنّ إِلّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} قُصد هنا: {وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} الّذي هو: المعنى العامّ، الّذي يدخل فيه جميع الأنبياء، وغالبا في القرآن؛ معنى الإسلام: المعنى العامّ، الأساسي.

ولو سمعتِ عن موسى -عليه السّلام- أنّه قال لقومه: {فَعَلَيْهِ تَوَكّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ}[٣] ستعرفون أنّ المقصود المعنى العامّ. ومثله لو سمعتِ عن عيسى كما في آل عمران.

إذًا نحن فهمنا: من الآية (١٣٢) أنّ الخطاب هنا قُصد بهذه المقدّمة كلّها بنو إسرائيل، وأن يُقال لبني إسرائيل: أنتم ورثة لدين إبراهيم؛ فعندما يأتي النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على دين إبراهيم؛ المفترض أن تُسلّموا.

---

(١) أخرجه البخاريّ (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦).

(٣) سورة يونس: ٨٤.

الآية (١٣٤) ماذا يقول الله –عزّ وجلّ– فيها؟ {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} كأنّه الآن يُخاطب بني إسرائيل الحاليّين، ويُقال لهم: إذا بقيتم على حالكم هذه، كلّ الثّناء الّذي سمعتموه عن إبراهيم –عليه السّلام– وعن بني إسرائيل الّذي وصّاهم يعقوب، سيكون {أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} وانتهت، و{لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مّا كَسَبْتُمْ} معناها: كأنّه قطع للصّلة بينهم.

إذًا بعد الآيات الّتي تضمّنت الثّناء على إبراهيم –عليه السّلام– وبنيه، والتّنويه بشأنهم؛ أتى التّعريض بمن لم يقتفِ آثارهم من ذرّيّتهم، وقطع الصّلة بين أهل الفضل ومن لم يسر على طريقهم. بيان أنّ الجزاء بالأعمال لا بالاتّكال.

إذًا (**التّعريض**) **يعني** ما يأتي كلام مباشر لهم في تقليل شأنهم إنّما يُعرّض لهم تعريضًا، يعني كأنّك تقولين لهم: (ليس جيّدًا ما تفعلونه! خطأ!) لكن ما يُقال لهم مباشرة إنّما يُعرّض لهم تعريضًا.

(بيان أنّ الجزاء بالأعمال لا بالاتّكال) يعني لا يأتي بنو إسرائيل يقولون: (نحن من نسل الأمّة)! أو يأتي المسلمون يقولون: (نحن من نسل أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم) أو (من أمّة النّبيّ فإذًا لنا الجزاء)! إنّما الجزاء بالأعمال وليس بالاتّكال؛ لأجل ذلك قيل: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ} وأنتم {لَكُم مّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} إذا كسبتم مثل كسبهم تكونون قد مشيتم معهم، وإذا لم تكسبوا مثل كسبهم تكونوا انفصلتم عنهم! إذًا الجزاء بالأعمال وليس بالاتّكال.

سنبدأ الآن الآية (١٣٥):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (١٤٠) تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}[1].

في التّقسيم كانت هذه هي المرحلة الرّابعة. الّتي تتضمّن: ذكر حاضر المسلمين في وقت البعثة.

بمعنى: أنّ وقت البعثة كان اليهود لهم أحوال مع المسلمين، سيتبيّن لنا ما هي أحوالهم مع هؤلاء المسلمين.

بعدما أتتنا الدّلائل على صحّة الإسلام. فيما مضى أتت الدّلائل على صحّة الإسلام من جهة أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من دعوة إبراهيم، وأنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على دين إبراهيم، وأنتم يا بني إسرائيل كان الواجب عليكم أن تكونوا على دين إبراهيم -عليه السّلام- ومن ثمّ تتّبعون النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي هو من دعوة إبراهيم.

سنبدأ من الآية (١٣٥) في الكلام حول الشّبة الّتي طعنوا فيها مع الإسلام، **معناها**: هؤلاء معاصرون مع النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الإسلام، ويطعنون في الدّين لأجل أن يشكّكوا المسلمين في دينهم!

ستأتي مسألة القبلة، أكبر مسألة حصل فيها الطّعن؛ **سنرى**: الشّبهة الأولى:

{وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ}.

ربطوا الهداية باليهوديّة أو النّصرانيّة، طبعًا {كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ} معناه: أنّ اليهود يقولون: {كُونُواْ هُودًا}، والنّصارى يقولون: {كُونُواْ نَصَٰرَىٰ}، وليس هم من يقول: {كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ} وإنّما كلّ واحد منهم.

ما هو الجواب؟ {قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا} كأنّهم يقولون: (ليس هناك إلّا التّقليد! لا نريد شيئًا جديدًا!) (لا نريد أن تأتونا بشيء في الدّين جديد؛ إمّا يهوديّة أو نصرانيّة!) فكأنّه يُقال: إذًا كنتم تريدون أن تقلّدوا؛ فإنّ الأولى بالتّقليد: إبراهيم -عليه السّلام- كان {حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}.

أتى الجواب فيه برهان، هذا البرهان دائر حول أنّ الطّريق إلى معرفة نبوّة الأنبياء: الآيات الّتي تأتي مع الأنبياء. الآيات ظهرت مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وسنرى هنا: آية عجيبة، ماذا قال الله عزّ وجلّ؟

---

(١) سورة البقرة: ١٣٥_١٤١.

لاحظي: أنّهم ربطوا الهداية باليهوديّة والنّصرانيّة، فقيل لهم: لا! {بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}، وأنتم الآن أيّها المسلمون {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا} بمن؟ {بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ} ثمّ بعد ذلك الشّيء المهمّ: {لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} يعني في ديننا ستدخل اليهوديّة والنّصرانيّة، وكلّ الأديان، لن نفرّق بين الأديان، سنؤمن بموسى، وبعيسى، وإلخ. يعني حالنا ليس مثل حالكم في الكفر والتّفريق؛ فبرهان أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- جاء من عند الله، أنّه آمن بكلّ رسل الله.

يعني لو كانت المسألة ادّعاء من النّبيّ، وطلب منه أن يكون له الفضل والباقون ليس لهم الفضل! ما كان من ديننا أنّه لابدّ أن نؤمن بالرّسل السّابقين.

وهم كيف كانوا يتصوّرون؟ كانوا يتصوّرون أنّ مسألة المكانة والشّرف منازعة، وأنّه إذا قلنا إنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- هو النّبيّ، معناها كأنّنا قلنا: إنّ موسى وعيسى والباقون ليس لهم قيمة.

كأنّ هذه النّبوّة عندهم تُؤخذ لشخص، وبعد ذلك تُمنع عن الباقين؛ لأنّه لمّا جاءهم عيسى ابن مريم، ماذا كان موقف اليهود من عيسى؟ رفضوا دينه، وقالوا: فقط موسى ولا شريعة بعده! وما آمن مع عيسى -عليه السّلام- إلّا الحواريّين، ثمّ إنّ دين عيسى ما انتشر إلّا لمّا أخذ الرّوم دينه، اليوم دين عيسى الّذي مع الرّوم الّذين هم: أوروبّا؛ هذا ليس هو الدّين الصّحيح؛ يعني عيسى -عليه السّلام- مثل موسى -عليه السّلام- أُرسل لبني إسرائيل خاصّة، ولم يكن دينا عامّا.

ما الّذي حصل؟ في قصّة طويلة أخذ الرّومان دين عيسى، وذهبوا به، فصاروا كأنّهم هم المقصودون بالدّين، وقد كان الرّومان أصلا وثنيّين، فأدخلوا الوثنيّة على دين عيسى، فكلّ هذا النّقاش: أنّه {كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ} هذا لازال مع نفس بني إسرائيل، الّتي أصولهم بني إسرائيل، وليس مثلما تتصوّرونه الآن: الّذين هم الرّومان، الرّوم، هل فهمتم الفرق؟

يعني وَفْدُ نَجْرَانَ الّذي جاء للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وجاء في النّقاش، وناقشوا النّصرانيّة؛ له أصول يهوديّة، اليوم غالب النّصارى ليس لهم أصول يهوديّة؛ فهم من أجل ذلك في مكانٍ ثانٍ غير دين النّصارى تمامًا، لكن هنا يُقصد: أنّ اليهود لمّا جاء عيسى؛ ظنّوا أنّ الإيمان بعيسى كُفر بموسى؛ ولذلك لم يؤمنوا بعيسى! ولمّا جاء النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ظنّوا أنّ الإيمان به كُفر بمن قبله! فقيل لهم: {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ} هذا دليل نبوّة النّبيّ -صلّى الله

عليه وسلّم- أنّه آمن بجميع الأنبياء قبله، هم عندهم المسألة كأنّها خانة واحدة يحتلّها نبيّ واحد، ولا يدخل عليه آخر! وليس أنّ الله -عزّ وجلّ- أرسل هذا النّبيّ، وبعد ذلك أرسل هذا النّبيّ؛ ليس عندهم مثل هذا! لو آمنتم بغير موسى يعني كأنّكم كفرتم بموسى، لذلك كان الجواب عليهم: أنّ الله -عزّ وجلّ- يرسل من يشاء -سبحانه وتعالى- ولذلك: {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ}.

{لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ}: هذا الجواب.

لأنّ المشكلة هي الهداية. {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ}.

في الآية (١٣٧) أليست المشكلة هي الهداية؟ فماذا قيل؟

{فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ} الهداية ليست وفق أهوائكم! إذا آمنوا بكلّ الأنبياء فقد اهتدوا؛ وإذَا لم يؤمنوا؟! {وَّإِن تَوَلَّوۡاْ}؟

{هُمۡ فِي شِقَاقٖ} معناها: هم في شقّ آخر غير الهداية.

فالنّاس اليوم، عندما يكون هو متمسّك بفكرة معيّنة، جزء من الدّين؛ يجعل الهداية فقط أن تذهب معه، وإذا لم تذهب معه تصير لست بمؤمن!

ولذلك انظروا: إلى الخوارج ماذا يفعلون؟! وطبعا غالبًا الخوارج مشكلتهم أنّهم يكونون صغارًا في السّنّ يقودهم أصحاب أجندة، يعني هل رأيت كيف هم الخونة الّذين يخونون المسلمين؟! المنافقون الّذين يأتون بأجندات خارجيّة لإفساد ديار المسلمين، الّذين يكونون بمثابة جواسيس! هؤلاء كأنّهم رؤوس المسألة، هؤلاء أصحاب الأجندة! ماذا يعني أجندة؟ يعني خطّة لأجل أن يفسدوا ديار المسلمين!

يلتقطون الصّغار؛ هؤلاء أصحاب الأجندة لا يقولون لهم: (اكفروا! أو اخرجوا!) لا! لا! وإنّما نوع ثانٍ، يحاولون أن يعظّموا شأنًا معيّنًا من الدّين مثل: شأن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. يأتون إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهو من ديننا، لكن يطلبون له طُرُقًا غير صحيحة. نحن لا ننكر بأنّ هناك منكرات، لكن ننكر عليهم طريقة إنكارهم!

ويبدأ عندهم التّسلسل بالطّريقة التّالية: وليّ الأمر الّذي يسمح بالمنكرات؛ يجعلونه كافرًا! وطبعًا حتّى لو كانت هناك منكرات؛ حتّى الّذي يفعلها لا نعتبره كافرًا؛ وإنّما عاص، مرتكب لكبيرة، تحت مشيئة الله، وليس كافرًا خرج من الملّة! هذا وليّ الأمر!

وماذا عن الجنود الّذين يحمون وليّ الأمر؟! كفّار مثله! فيقوموا بتفجير وزارة الدّاخليّة! ويقتلون عسكري! ويفعلون، ويفعلون، بهذه الطريقة! (وأنتم أيّها الشّعب: هل أنتم راضون عنهم؟! إذًا أنتم كذلك مثلهم كفّار! ويصير القتل جائزًا فيكم، حلالًا فيكم!) فيصير المجتمع كلّه عندهم كافرًا لأنّه لم يتّبع ما هم فيه!

فهم بالضّبط مثل هذا! **ولذلك يُقال:** {فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ} فاليهود والنّصارى ماذا يقولون؟ (الهداية نحن فقط! أيّ دين ثانٍ ليس هداية). الخوارج عندهم نفس الفكرة: إمّا أن تكون معنا، وتُكَفِّر الّذي لا يكون معنا، وإلّا تكون أنت كافرًا!) بنفس هذه الفكرة!

فالقول فيهم مثل القول في اليهود والنّصارى.

آمن بكلّ الدّين، وضع كلّ شيء في مكانه: {فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ} {وَّإِن تَوَلَّوۡاْ}؟ {فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ}.

إذًا معنى ذلك: في ديار المسلمين يظهر مثل هذا التّفكير، الّذي يدور حول الهداية؟ **هنا المشكلة!** ما هي الهداية؟ كلّ واحد تبنّى فكرة جزئيّة، وتعصّب ورأى أنّه فقط هو الصّواب، وغيره خطأ! إلى أن تكبر هذه المسألة فيكفّر غيره! إلى أن تكبر هذه المسألة فيقتل غيره! هي بالضّبط هكذا! **فمن أجل ذلك** فإنّ الدّين ليس جزئيّات يا بناتي! فالدّين تجمعينه كلّه مع بعض، وتعرفين كيف تفرّقين بين العاصي، ومرتكب الكبيرة، ومرتكب الصّغيرة، وحتّى مرتكب النّواقض ماذا يكون حاله؟ من يُحاكم مرتكب النّواقض؟ كيف يُناصح مرتكب النّواقض؟

لكن لأجل أن تعرفوا: أن هذا أسلوب تفكير من اليهود والنّصارى! حصر الهداية في الفكر الّذي يتبنّاه. هل معنى ذلك أنّني أتميّع وأقبل أيّ شيء؟! لا! ليس هذا معناه! وإنّما يكون عندي درجة من الوعي، لا أن أتبنّى أيّ فكر وانتهى! والّذي يُعارضني في الفكرة يصير ليس من الإسلام! ولا في الدّين! ولا عنده دين! انتبهوا: فإنّ هذا أسلوب في التّفكير يعتمد على التّعصّب!

إذًا: لمّا قال الله –عزّ وجلّ– عن شُبهة اليهود: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ} ما هو الجواب؟ {قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}، وبعد ذلك نبيّن ديننا، سنؤمن برسولنا وبكلّ الرّسل

من قبله، يعني تنظرين للدّين إجمالًا وليس للتّفصيل الّذي اختاروه، الّذي اختاره هذا! والّذي اختاره هذا! يعني تجدين مثلًا: الصّوفيّة أخذت حبّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وجعلته هو الدّين وأيّ شيء ثانٍ ليس بالدّين! والرّوافض كذلك أخذوا حبّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وحبّ آل البيت! ولو عددت في ديار الإسلام كم فرقة؟! كلّ واحدة ماذا فعلت؟! أخذت جزءًا من الدّين وجعلته هو الدّين كلّه وانتهى! وطبعًا لأجل أن آخذ جزءًا من الدّين؛ سيصير فيه غلوّ! ولكن لو أُخذ الدّين كلّه فإنّه لا يمكن أن يحصل فيه غلوّ!

على كلّ حال؛ فإنّ هذه الآيات مهمّة جدًّا في التّفكير: ألّا تحصر الهداية بحيث تتحوّل الهداية إلى حزب؛ لا تأتِ تقولين: (إنّ الّذين درسوا معنا، فقط هم المهتدون! والّذين ما درسوا معنا، يصيرون ليسوا بالمهتدين!)! لا! فإنّ هذا اسمه اسم تحزّب!

- كلّ من تعلّم القرآن، وفهمه كما ينبغي؛ يدخل في دائرة المهتدين، في دائرة المتّقين.
- وكلّ من انفعل بالقرآن ازداد تقوى.
- وكلّ من استقام في باطنه وظاهره ازداد تقوى.

وليس من ينتمي إليّ هذا يصير منّي والّذي ليس معي يصير ليس له قيمة!

انتبهوا: فإنّ هذا خطر التّحزّب؛ ولذلك فأنت اليوم تسمعين دائمًا عن الحزبيّة والأحزاب والمتحزّبين؛ لأنّ الحزبيّة في النّهاية تضيّع المجتمعات، ويصير هناك دولة في داخل دولة! وتصير الأمّة تفترق وهم في مكان واحد! فيرون أنفسهم هؤلاء هم الطّيّبون، وهؤلاء هم الغير جيّدون! ومن ثمّ فإنّ اللّين يبتعد عنّا حتّى في دعوة المسلمين؛ لأنّنا نراهم فسّاقًا ولا يصلحون للدّعوة! لابدّ أن تفهموا هذا الخطر! وإذَا لم تفهموه ادعوا ربّنا يفهّمكم ما معنى التّحزّب؛ لأنّ النّاس غالبًا متعرّضون للتّحزّب وهم لا يشعرون! والتّحزّب يكاد يفسد الدّين كلّه، تصير النّصرة ليست للدّين؛ وإنّما النّصرة للحزب.

هكذا انتهينا من الآية (١٣٧) وعرفنا: {فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ} لن نأخذ جزء من الدّين ونترك الباقي! طيّب، {وَّإِن تَوَلَّوْاْ}؟ {فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ}.

ثمّ قال الله عزّ وجلّ: {صِبْغَةَ ٱللَّهِ} **معنى ذلك**: أنّ هذا يدلّ على صحّة هذا الدّين؛ أنّ هذا: {صِبْغَةَ ٱللَّهِ} **بمعنى**: دين الله {وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ}.

التّسليم لجميع الدّين {وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} هذا التّسليم، وليس التّحزّب على بعض الأنبياء وترك بعضهم! أو على جزء من الدّين وترك بقيّة الدّين، أو على جماعة وترك بقيّة المسلمين! لا! وإنّما نحن جماعة المسلمين.

يعني أنتم لابدّ أن تتصوّروا: أنّ الواقع الّذي نعيشه، والويلات الّتي يعيشها المجتمع الإسلامي من التّحزّب والتّفرّق هي سبب كلّ الحالة الّتي نعيشها؛ لأجل ذلك هو موضوع مهمّ جدّا! ولذلك أنت تجدين هؤلاء اسمهم: حزب الله! وهؤلاء اسمهم: حزب كذا! حزب الله وهم لا يعرفون حتّى الله! لكنّهم تجمّعوا وسمّوا أنفسهم بهذا الاسم، وجعلوا الّذي انضمّ لهم هو مع الله، وفي دين الله! والّذي لا ينضمّ لهم فهو لا من الله، ولا في دين الله! ثمّ إنّهم بعد ذلك يتسلّحون! ويحاربون المسلمين! هل فهمتم ما هو خطر الأحزاب؟! يعني كلّ الويلات الّتي نعيشها اليوم، والتّخلّف الّذي دائمًا يكلّمونك عنه؛ بسبب هذه النّقطة! بسبب أنّ كلّ واحد يدّعي أنّه هو المهتدِي! ولا يأتون لدين الله كاملًا ويثبتونه!

إذَا كلّ واحد ادّعى أنّه مهتدٍ، قلنا: لا، لابدّ أن نجتمع! فممكن أن يقول كلّ واحد: (اجتمعوا عليّ!) ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا} بهذه الطّريقة، **يعني** ارجعوا للإسلام كاملًا، وليس للأجزاء الّتي أخذتموها.

هنا في الآيات: اليهوديّة والنّصرانيّة، وحين تذهبين للواقع الّذي نعيشه: هؤلاء أخذوا حبّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهؤلاء أخذوا حبّ آل البيت، وهؤلاء أخذوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهؤلاء أخذوا...نقول لهم: ارجعوا كلّكم إلى الدّين كاملًا!

إنّ هذا الكلام يخصّكم: والموضوع ليس ببعيد عنكم؛ وأنتم مهما كنتم صغارًا؛ فأسلوب التّفكير لابدّ أن يكون صحيحًا: أنّني أنا أرفض التّحزّب، وأطالب بالاجتماع على الدّين كلّه، وما أرى نفسي أنّني: أنا صواب، والّذي يفعل مثلي وسائر في مسيرتي لكنّه لا يأتي في مكاني أو معي؛ يصير ما له قيمة! لأنّ من السّهولة أن تحصل حالة من التّحزّب!

على كلّ حال؛ لأجل أن ننهي هذا المقطع: {قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ} هذه المحاجّة ما هو المقصود بها؟ يعني كأنّه يُقال: لازلتم تجادلون في كون الحقّ نزل على رسول الله، وفي التّوحيد. يعني تحاجّون في دين الله وهو الرّبّ الّذي دبّر -سبحانه وتعالى- والمستحقّ للألوهيّة. لأجل ذلك: {وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ} يعني ليس هناك وجه للمحاجّة في الدّين الّذي جاء به النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأنّنا نعبد الله بتوحيده؛ لأنّه المستحقّ لهذا التّوحيد.

سنرجع لأوّل كلامهم عن اليهوديّة، فقيل: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ}! كيف {كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ}؟ وهم كلّهم قبل موسى وعيسى! كيف تقولون عنهم: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ} **هم قالوا:** (إنّ الهداية هي اليهوديّة أو النّصرانيّة)! ليس لدينا إلّا واحد من اختيارين! إمّا أنّ {إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ} ليسوا مهتدون! أو أنّ {إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ} ماذا؟ {كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ}!

ارجعي إلى أوّل السّياق: {وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟} من في نظرهم المهتدي؟ فقط إن كان يهوديًّا أو نصرانيّا.

انظري الآن: هذه المحاجّة لهم، السّؤال لهم: هل إبراهيم مهتدٍ أم ليس مهتدٍ؟ ألم يقولوا: {كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟}؟

إمّا أن يكون ليس مهتدٍ، أو أن يكون يهوديّا أو نصرانيّا!

وهو أكيد ليس يهوديّا ولا نصرانيّا؛ لأنّ اليهوديّة والنّصرانيّة جاءت بعده! موسى –عليه السّلام– وعيسى –عليه السّلام– جاءا بعد {إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ}.

ولا هو غير مهتدٍ! لأنّهم يعترفون بهدايته.

إذًا: هذا إبطال تامّ الوضوح لحجّتهم: {وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟}.

وبعد ذلك خُتمت الآية بنفس الختام السّابق: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}.

ماذا سنقول بعد هذه المحاجّة؟ كأنّه يُقال: أنتم لا تتكلّموا عن الآباء، ما لكم علاقة بهم، ولا تنسبوا أنفسكم لهم، إذا بقي هذا مسلككم، لا تتكلّموا عن الآباء الّذين هم: {إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ}.

هكذا نكون انتهينا إلى الآية (١٤١).

تكلّمنا عن اليهود الّذين كانوا حاضرين مع النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– كيف كانوا يلقون عليه الشّبه. فكانت هذه أوّل شبهة: الكلام حول أنّ الهداية ما تكون إلّا إذا كانوا هودًا أو نصارى، وقد رددنا عليهم وتبيّن الأمر. بعد ذلك سيأتينا الأسبوع القادم الكلام حول مسألة القبلة وإلقاء الشّبه حولها.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس الجزء الثّاني

اللّقاء السّادس: الخميس 9 صفر 1440 هـ ٣

مقدّمة _____ ٥

مراجعة مدارسة الآيات (45_46) _____ ٥

مدارسة الآية (47) _____ ٧

مدخل إلى مدارسة القسم الأوّل من المقصد الثّاني (49_74) _____ ٩

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} _____ ١٠

الرّابط بين الآيتين (58) و(59) وآخر الآية (57) _____ ١٥

تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} _____ ١٧

اللّقاء السّابع: الخميس ١٦ صفر 1440 هـ ٣١

المقدّمة: مراجعة ما سبق _____ ٣٣

تابع تفاصيل قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} _____ ٣٨

مدخل إلى مدارسة القسم الثّاني من المقصد الثّاني (75_121) _____ ٥٢

مدارسة السّبب الأوّل لقطع الطّمع في إيمانهم (75 _ 79) _____ ٥٢

مدارسة السّبب الثّاني لقطع الطّمع في إيمانهم (80 _ 82) _____ ٥٥

اللّقاء الثّامن: الخميس 23 صفر 1440 هـ ٥٨

مقدّمة _____ ٦٠

مراجعة السّبب الأوّل والثّاني من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (٧٤_79) _____ ٦١

مقارنة مظهر الصّفة الثّالثة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٦٩

مدارسة السّبب الثّالث من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (80 _ 82) _____ ٧١

مدارسة السّبب الرّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (83 _ 87) _____ ٧٢

مقارنة مظهر الصّفة الرّابعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٧٤

مدارسة السّبب الخامس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (88) _____ ٧٦

ومقارنة مظهر الصّفة الخامسة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٧٦

مدارسة السّبب السّادس من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (89_90) _____ ٧٧

مدارسة السّبب السّابع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (91_93) _____ ٧٧

مدارسة السّبب الثّامن من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (94_90) _____ ٧٨

مقارنة مظهر الصّفة الثّامنة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٧٩

مدارسة السّبب التّاسع من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (97_99) ومقارنة مظهر الصّفة التّاسعة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٨٠
مدارسة السّبب العاشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (100_101) ومقارنة مظهر الصّفة العاشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٨١
مدارسة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (102_103) ومقارنة مظهر الصّفة الحادي عشرة بالنّسبة لحال المسلمين اليوم_____ ٨٣
اللّقاء التّاسع: الخميس 30 صفر 1440 هـ ٨٦
المقدّمة: مراجعة السّبب الحادي عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمان اليهود (102_103) _ ٨٨
مدارسة السّبب الثّاني عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (104) _____ ٩١
مقارنة مظهر الصّفة الثّانية عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ٩٢
مدارسة السّبب الثّالث عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (105_108) _____ ٩٤
مدارسة السّبب الرّابع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١٠٩_١١٠) _____ ١٠٠
مدارسة السّبب الخامس عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (104)_____ ١٠٣
مدارسة السّبب السّادس عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١١٣) _____ ١٠٤
مدارسة السّبب السّابع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (114_115) _____ ١٠٧
مدارسة السّبب الثّامن عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (١١٦_117) _____ ١٠٩
مدارسة السّبب التّاسع عشر من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (118)_____ ١١١
ومقارنة مظهر الصّفة التّاسعة عشر بالنّسبة لحال المسلمين اليوم _____ ١١١
مدارسة السّبب العشرين من أسباب قطع الطّمع في إيمانهم (119_121) _____ ١١٢
اللّقاء العاشر: الخميس 7 ربيع الأوّل 1440 هـ ١١٥
مقدّمة _____ ١١٧
تابع مدارسة المقصد الثّاني _____ ١٢٣